Al-Daleel

Social Media; Cyber Identity and Religious Identity

Sayyid Ruhollah Mousawi
PhD in Islamic Philosophy & Theology, Tehran University, Iran.
E-mail: s.r.musawi@aldaleel-inst.com

Abstract

The issue of religious identity, which is one of the aspects of cultural identity, is one of the most important and contentious issues for humans, given the meaning it imparts to human life. Although identity is a general topic with general principles that are discussed regardless of the phenomenon of social media networks, in this study, using a critical philosophical approach, we will focus on addressing these principles and discussions in the context of social media platforms, especially in the world connected to this modern phenomenon. We will also illustrate how they are related to the phenomenon of religion and religiousness. We have discussed and critiqued some thinkers views on cyber identity or identity influenced by these networks, and we have attempted to apply them to the subject of religious identity. One of the conclusions we have reached through the discussions presented is that social media networks, in their current form and structure, are imbued with non-religious perspectives, Western lifestyle patterns, and non-religious ideologies. All these factors result in the weakening of religious identity, despite the fact that humans are in dire need of religious identity, especially in the modern age. Finally, we have provided some recommendations to prevent falling into these problems and crises.

Keywords: Reality, religious text, interests and harms, method, religion, multiplicity of understandings.

Al-Daleel, 2024, Vol. 7, No. 23, PP .58-90

Received: 25/12/2023; Accepted: 20/01/2024

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

©the author(s)

مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
الدليل Al-Daleel

شبكات التواصل الاجتماعي.. الهوية السيبرانية والهوية الدينية

روح الله الموسوي
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة طهران، إيران.
البريد الإلكتروني: s.r.musawi@aldaleel-inst.com

الخلاصة

إن مسألة الهوية الدينية ـ وهي من مصاديق الهوية الثقافية ـ من أهم قضايا الإنسان وأكثرها جدلًا، نظرا لاضفائها معنى على حياة الإنسان. ورغم أنّ الهوية مبحث عامّ وله أحكامٌ عامّة تُطرح بغض النظر عن ظاهرة شبكات التواصل، إلّا أنّنا في بحثنا هذا وبمنهج فلسفي نقدي سنركّز على معالجة هذه الأحكام والمباحث في بيئة شبكات التواصل خاصّة والعالم المتّصل بهذه الظاهرة الحديثة، ونبيّن كيفية ارتباطها بظاهرة الدين والتديّن، كما طرحنا ونقدنا رؤى بعض المفكّرين حول الهوية السيبرانية أو الهوية المتأثّرة بهذه الشبكات، وحاولنا أن نسقطها على موضوع الهوية الدينية. من النتائج التي توصّلنا إليها من خلال المباحث المطروحة أنّ شبكات التواصل بشكلها وهيكليتها الحالية مشرّبةٌ برؤًى غير دينية ونمط حياة غربية وأيديولوجيا غير دينية يسفر عنها تضعيف الهوية الدينية، رغم أنّ الإنسان في أمس الحاجة إلى الهوية الدينية، خصوصًا في العصر الحديث. وفي الأخير قدّمنا بعض التوصيات للحؤول دون السقوط في هذه المشاكل والأزمات.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الهوية الثقافية، الهوية الدينية، الهوية السيبرانية، الهوية ما بعد الحداثية، شبكات التواصل.

مجلة الدليل، 2024، السنة 7، العدد 23، ص. 1 ـ 30
استلام: 2023/12/25، القبول: 2024/01/20
الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث
© المؤلف

المقدّمة

إنّ دراسة آثار التكنولوجيا على هويّة الإنسان وتغيّرها تعدّ أحد مواضيع الدراسات الحديثة والتي يطلق عليها "الذات التقنية" (Technoself)، وقد ظهر هذا المفهوم مؤخّرًا للإشارة إلى حالة تغيّر الهويّة البشرية في المجتمع الذي يعتمد على التقنيات الجديدة.

[Carducci, The Psychology of Personality: Viewpoints, Research, and Applications, p. Z]

وممّا لا شكّ فيه أنّ الشبكات الاجتماعية السيبرانية هي من أهمّ مظاهر التكنولوجيا التي ينبغي دراسة علاقتها بالهوية الانسانية؛ إذ إنّ التأمّل في بنية الفضاء الافتراضي وكيفية عمله يقودنا إلى نتيجة مفادها أنّ هويّة الإنسان تترك بصماتها على نشاطاته في الفضاء السيبراني، ممّا يسهّل كشف هويّته بصورة أكثر دقّةً ممّا يبديه في صفحة البروفايل، حتّى وإن كان صادقًا. فما هو الفارق بين هوية الإنسان في عصر شبكات التواصل وهويته قبل هذه التقنيات وما يسمّيه بعضهم بهويته السيبرانية إذا كان هناك فارق أصلًا؟ وما العلاقة المتبادلة بين هاتين الهويّتين، وبنظرة خاصّة ونظرًا لأهمّية موضوع الدين وضرورته، من الضروري أن ندرس إن كان حضور الإنسان في هذه الشبكات مؤثّرًا على هويته الدينية ومدى تديّنه؟

يهدف هذا المقال إلى بحث هذا الموضوع المهمّ ودراسته بالاستناد إلى منهج تحليلي ونقدي وعرض آراء بعض أبرز المفكّرين في هذا المجال ثمّ نقدها، ثمّ عرض الرأي المختار تجاه هذه الظاهرة الحديثة والإجابة على أهمّ التساؤلات في هذا الصدد بقدر الإمكان. إنّ هذا البحث يمكن إدراجه ضمن مباحث الدراسات الدينية (religious studies)، التي تهدف إلى الدراسة العقلية حول العلاقة بين الدين والظواهر المختلفة.

المبحث الأوّل: مفردات البحث

أوّلًا: معنى الهوية

الهوية بالمعنى الاصطلاحي لها معانٍ تختلف باختلاف مجالاتها وسياقاتها المعرفية، ويمكن عرضها ضمن المجالات الأربعة التالية:

1ـ المجال القانوني: الهويّة في أبسط معانيها هي الخصائص التي تميّز شخصًا عن آخر، والأوصاف التي يميّزون بها الإنسان عن سائر أبناء جلدته، وتشمل هذه الخصائص المظهر، الاسم، الدين، اللغة، العرق، التاريخ والجغرافيا [شكرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و

اجتماعی، ص 55]، وكذلك السمة الجامعية و... وأوصاف مثل لون البشرة وفصيل الدم و... يمكن التعبير عن هذه الهوية بالهوية السجلّية أيضًا. وعلى سبيل المثال حينما يراد البحث عن هويّة قاتلٍ ما، فإنّ البحث يتّجه إلى الهوية بهذا المعنى.

2ـ مجال علم النفس الفلسفي: من وجهة نظر علماء النفس ومنظّري الشخصية، فإنّ الهويّة هي الشعور بالتميّز والاستمرارية والاستقلال الشخصي [رسولزاده اقدم و ...، رسانههای اجتماعی، هویت و فرهنگ جوانان، ص 64]، فالهوية هنا تعني تلك الحقيقة المستمرّة التي يدركها الإنسان تحت عنوان "أنا" وتشكّل حقيقته وشخصيته، ويتمّ البحث حول وجود هذه الحقيقة وفهمها في علم النفس الفلسفي، كما يستند علم اللاهوت والكلام أيضًا إلى هذه البحوث في إثبات عدم فناء الإنسان بالموت، أو لإثبات أنّ الإنسان الذي يُبعث في الآخرة ويتنعّم أو يُعذّب هو نفس الإنسان الذي عاش في الدنيا.

3ـ مجال الدراسات السوسيولوجية: في هذا المجال المعرفي يتمّ دراسة سمة الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع وباعتبارها هويته الاجتماعية، ويُدرس أثر هذا الانتماء إلى المجتمع على وعي الإنسان وشخصيته وتصرّفاته. إنّ النظرة السوسيولوجية تعدّ الهويّة ظاهرةً مرنةً ومتغيّرةً يشكّلها الآخرون من خلال علاقاتهم الاجتماعية [المصدر السابق]؛ لذلك من وجهة نظر علم الاجتماع، يتمّ تشكيل الهويّة من قبل الآخرين، وهذا يعني أنّ إدراكنا لهويّتنا قائم على موقف الآخرين، وينتج عن هذا الرأي أنّ الهويّة مبنًى اجتماعيٌّ ممزوجٌ بالشعور بالانتماء إلى مثل هذه المجموعات الاجتماعية، ومرتبط بتغايرنا واختلافنا مع الآخرين، كما أنّها مرنة لأنّها مكتسبة [شكرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، ص 66]؛ لهذا تعدّ أنواع الهوية الشخصية والاجتماعية والجماعية مهمّةً في مناقشة الشبكات الاجتماعية.

4ـ مجال الدراسات الثقافية: في هذا المجال البحثي نشير إلى الهوية الثقافية، التي تعني نوعًا من إدراك الذات وخصائصها المهمّة، ممّا ينتج عنه معنًى خاصّ للأشياء، فمثلًا إنّ وعي المرء بكونه شخصًا تقيًّا ومسلمًا ومحبًّا لأهل البيت عليهم السلام يجعل لتربة الإمام الحسين عليه السلام معنًى خاصًّا ومقدّسًا، في حين لا يملك غير المتديّن وغير المسلم مثل هذا المعنى والانطباع عن هذه التربة.

انطلاقًا من هذه النظرة عرّف بعضهم الهوية الثقافية بأنّها تعلّق الإنسان بثقافة المجتمع بحيث يشعر الإنسان بتعلّقه بأعراف مجتمعه والالتزام بها. [اکبری، بحران هویت و هویت دینی، ص 221]

هناك صفات متعدّدة يمكن للإنسان أن يتّصف بها، ولكنّ هناك بعض الصفات أكثر جاذبيةً، وتجعل المتلبّس بها يتّخذ سلوكًا خاصًّا في حياته، ويضحّي بالغالي والرخيص بل وحتّى بحياته لأجلها، هذه الصفات هي ما يشكّل هويةً خاصّةً للإنسان، وهي ما نسمّيه الهوية الثقافية، فهي ترتبط بالأوصاف والعناوين التي يتجلّى الاتّصاف في الآثار المترتّبة عليها، ويشمل هذا النوع من الهوية العرق والقومية والدين والانتماء الحضاري والجغرافي واللغوي وغيرها، ويمكن إدراج ما يشار إليه بالهوية الوطنية والهوية الدينية بوصفهما شعبتين من الهوية الثقافية وتحت هذا العنوان.

إنّ مقصودنا من الهوية في هذا البحث هو القسم الأخير من بين هذه الأقسام، أعني الهوية الثقافية على مستوى الفرد والمجتمع، وقد نشير إلى سائر أقسام الهوية ـ خصوصًا الهوية السوسيولوجية ـ بما يتناسب وطبيعة البحث عن شبكات التواصل الاجتماعي حيثما احتجنا إلى ذلك.

ثانيًا: تعريف الهوية الدينية والهوية السيبرانية

لقد عرّف بعضهم الهوية الدينية على أساس آثار هذا النوع من الهوية ونتائجها، وخلصوا إلى أنّ الهوية الدينية هي مصدر السلوك الديني عند الإنسان [انظر: جوانى، هويت دينى يا هويت‌هاى دينى، ص 8]، ولكن يمكننا تحديد الهوية الدينية في سياق الدراسات الثقافية، التي تعرّف الهوية بأنّها الوعي بالذات الذي يمنح معنًى ما، ويمكن على أساسه تقديم تعريفٍ علّيٍّ لميٍّ، وهو أنّ الهوية الدينية هي تلك المعرفة بالذات التي تضفي معنى على الحياة البشرية، وتجلب معها الوعي والعقيدة والإيمان والتعلق بالدين والأيديولوجية الدينية، وبتعبير آخر، إنّ الهوية الدينية هي عبارة عن معرفة الشخص نفسه من حيث تعلّقه بدين خاصّ وما يترتّب عليها من مخرجات قيمية وإحساسات. [عباسى، فضاى مجازى در انديشه‌ى اسلامى، ص 63]

بالنظر إلى أنّ الرؤية الكونية والأيديولوجية الدينية واقعية، يمكن القول إنّه بقدر ما يتوصّل الإنسان بفكره وعقله إلى نظريات حقيقية ورؤًى واقعية، ويؤمن بها ويعتقد بها بشكل يكون لها تأثير على حياته، تتشكّل هويته الدينية وتترسّخ، وإن كان هذا عن غير شعور وإدراك. وبطبيعة الحال، ليست كلّ المعارف على نفس المستوى من الأهمّية والدرجة، وكذلك بسبب الحجم اللامتناهي للمعارف فإنّه لا يمكن للإنسان بنفسه أن يكون على دراية بها كلّها لمحدوديته، في حين أنّ الإنسان المؤمن قد يحصل على الحقيقة بصورة شاملة بالإيمان الكامل بالدين والاعتقاد به والانقياد إلى تعاليمه، على الرغم من أنّه قد لا يعرف مباشرةً حكمة كلّ حكم من أحكامه.

أمّا البحث عن الهوية السيبرانية فهو البحث عمّا إذا كانت الهويّة الإنسانية في عصر الشبكات الاجتماعي هي هويّة لديها ميزات خاصّة تجعلها تختلف عن سابقها أم لا، وهل يمكننا الحديث أصلًا عن هوية سيبرانية أم لا؟ وكيف تؤثّر الشبكات الاجتماعية السيبرانية على الهوية الإنسانية؟ إنّ مسألة الهوية السيبرانية هي مسألة كيفية الوعي بـ "الأنا" أو "النفس" في العصر الرقمي والشبكات الاجتماعية السيبرانية، وفي الإجابة عن سؤال ما إذا كانت هوية إنسان شبكات التواصل والفضاء الافتراضي تختلف عن هوية الإنسان القديم، تطرّقت الكثير من الدراسات إلى علاقة الهوية الإنسانية بالمكان، فالإنسان القديم كان مقيّدًا بالمكان إلى حدٍّ كبير، وكان نادرًا ما يتنقّل من مكان ولادته إلى مكان آخر؛ لهذا كانت الهويات أقلّ عرضةً للتغيير، ولكن مع عصر العولمة، ودخول وسائل الإعلام الجماهيرية بدأ يحصل هذا التغيير، وأصبح لدى البشر فرصة أكبر للتغيير، ومع وسائل التواصل الاجتماعي اشتدّ هذا الأمر وأصبح الانسان مقلوعًا (Disembedded) كما عبّر عنه أنتوني غيدنز (Anthony Giddens)، بمعنى أنّ عنصر المكان فقد أهمّيته في تطوير الهوية، واستبدل بالمكان (place or local) الفضاءُ (space). [Giddens, The Consequences of Modernity, p. 18]

والمقصود من الفضاء هو الحيّز الحديث الذي يحدث فيه التواصل بدون الحاجة إلى المواجهة وجها لوجه والاجتماع في مكان واحد [ibid]، فهذا الأخير هو الذي يؤثّر على الإنسان الجديد في هذه الحالة الجديدة وليس المكان. وتجدر الإشارة إلى أنّ المكان والفضاء مختلفان: فالمكان ثابت ولكن الفضاء سائل، والمكان موحّد، ولكنّ الفضاء متكثّر و...، وبالنظر إلى هذا الاختلاف، يمكن للمرء أن يؤمن بتطوّر إنسان ما بعد الحداثة في هذا الفضاء، وما سنعالج هويته في هذا البحث.

أمّا "الهويّة الرقمية" (Digital identity) فهو مصطلح استخدمه كمبرغ (Mary_Lane Kamberg)؛ إذ يرى أنّ كلّ شخصٍ متّصلٍ بالإنترنت لديه هوية رقمية وإن كانت محدودةً، هذه الهويّة هي مجموع المعلومات المتعلّقة بالشخص في فضاء الإنترنت ... ويتمّ إنشاء الهوية الرقمية عبر الإنترنت ببطء وبالتدريج من خلال الأنشطة التي يقوم بها الشخص عبر الإنترنت، والتي تتضمّن معلومات مثل المواقع التي يزورها هذا الشخص، والألعاب التي يلعبها، والأشياء التي يحبّها ويفضّلها حين تسوقّه في هذا الفضاء، وتشمل الهوية الرقمية أيضًا ما يكشفه المستخدمون المهتمّون عن أنفسهم أو ما يقوله الآخرون عنهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وكلّما زادت المعلومات المتوفّرة عنك، زادت قوّة هويتك الرقمية.

[Kamberg, Digital Identity: Your Reputation Online, p. 9]

أمّـا "الذات على الإنترنـت" (online self) فهـو مصطلح آخر اسـتخدمه هنغـلداروم (Hengladarum)، ويقصـد بـه ذات الإنسـان أو هويّتـه عـبر الإنترنـت كامتـداد لذاتـه الواقعيـة وغـير المتّصلـة بالإنترنت وبالفضـاء الإلكـتروني، تمامًـا كالذات البشريـة الحقيقيـة الـتي هي امتـداد "لـلذات على النـت" في الفضـاء الحقيـقي، ويتـمّ عـرض هويّـة الشـخص في الفضـاء الإلكـتروني مـع ملفـه الشـخصي (profile)، ووفقًـا لقامـوس وبسـتر (Webster)، فـإنّ الـ (profile) هـو عَـرض عامٌّ لـشيءٍ مـا، خاصّـةً رأس الإنسـان أو وجهـه إذا تـمّ عرضـه مـن جانـب واحـد، كمـا يُطلـق الملـف الشـخصي (profile) على مجموعـة المعلومـات ـ الغرافيكيـة غالبًـا ـ الـتي تعـرض أهـمّ مـيزات شيء مـا [www.merriam-webster.com]. إنّ الملـفّ الشـخصي حسـب مـا هـو متـداول لدى مسـتخدمي الإنترنـت هـو مجموعـة مـن المعلومـات الـتي ينشرهـا الإنسـان باختيـاره حـول نفسـه على الشـبكات ويعـرّف نفسـه وهواياتـه وخبراتـه مـن خلالهـا، وقـد عرفنـا مـن خـلال مفهـوم "الهويـة الرقميـة" بـأنّ الملـف الشـخصي لا يعطـي صـورةً كاملـةً عـن الإنسـان، بـل تتكـوّن لديـه هويـة رقميـة وفقًـا لتلـك المعلومـات الـتي يمكـن لمحلّـلي الشـبكة أن يحصلـوا عليهـا من خـلال تحليل نشـاطات المسـتخدم في هـذا الفضـاء، والـتي تشـتمل على معلومـات الـتي ينشرهـا المسـتخدم حـول نفسـه إراديًّـا أو لا إراديًّـا.

أخـيرًا، يمكننـا أن نسـتنتج أنّ هنـاك فارقًـا بـين مفهـوم كلّ مـن "الهويـة السـيبرانية" و"الهويـة الرقميـة" و"الذات على النـت"، فـإنّ الأوّل يشـير إلى هويـة الإنسـان في عـصر وجـود شـبكات التواصل الـتي تـزوّده بهـذه الإمكانيـة وتجعلـه متأثّـرًا بهـا، فـإنّ الإنسـان وإن لـم يسـتخدم إمكانيـة شـبكات التواصـل فعـلًا، ولكـن يمكـن أن نقـول بأنّـه يتقمّـص الهويـة السـيبرانية، ولكـنّ الثـاني يشـير إلى المعلومـات الرقميـة الموجـودة عـن المسـتخدم في الفضـاء الافـتراضي الرقـمي، ويُحصـل عليهـا مـن خـلال المعلومـات الـتي يتركهـا المسـتخدم بصـورة واعيـة أو غـير واعيـة على النـت، أمّـا الثالـث فهـو بمعـنى هويّـة الإنسـان ووعيـه، بالنسـبة إلى نفسـه الـتي تصـدر عنـه تصرّفـات خاصّـةً حـين الاتصـال بشـبكات التواصـل.

المبحث الثاني: معارف عامّة حول الهوية

للهويـة أحـكامٌ متنوّعـة وكثـيرة، وسـنركّز هنـا على طـرح معـارف عامّـة ضروريـة حـول الهويـة بغـضّ النظـر عـن الفضـاء السـيبراني، ولكنّهـا في الوقـت نفسـه ستسـاعدنا فيمـا بعـد في دراسـة العلاقـة بـين الهويـة والفضـاء السـيبراني:

أوّلًا: أنواع الهوية من حيث القيمة والمتانة

من الواضح أنّ الهويات ليست على مستوًى واحد من حيث متانتها واستحكام مبانيها، وتلبيتها لحاجات الإنسان النفسية والاجتماعية الأساسية؛ لهذا يمكن تقييمها وترتيبها بناءً على هذه الحاجات، ولا شكّ أنّ هذا التقييم له علاقة مباشرة مع مقدار الوعي بالهوية وابتنائها على أسس فكرية وعقلية وعقدية، ويمكننا تصنيف الهوية على هذا الأساس المذكور واستنادًا لرؤية المفكر جيمز مارسيا (James Marcia) بهذه الصورة:

1ـ الهوية الراكدة: الهوية التي اكتُسبت بسبب انتماء الشخص إلى العائلة أو الجماعة التي كان ينتمي إليها منذ البداية، وما يزال متصلّبًا فيها.

2ـ الهوية المتقلّبة: هي هوية لا تلتزم بأيّ جماعة أو بأيّ أساس خاصّ بالهوية، بل تتلبّس في كلّ زمان بلونٍ من الهوية.

3ـ الهوية المعلّقة: هي هوية تسعى للوصول إلى الحقيقة ولديها مسار مدروس مشخّص تطويه للوصول إلى الهوية الحقيقية.

4ـ الهوية المحصّلة: هوية تمّ الحصول عليها من خلال بحث ووعي، وتتحقّق هذه الهويّة للإنسان من خلال عكفه على البحث عن الحقيقة والتفكير والتعلّق بها [انظر: فيروزآبادى، فضاى مجازى، اجتماع و فرهنگ، ص 27]، ولا شكّ أن مثل هذا الشخص قد أنهى بحثه عن الهوية، لكنّ تعميق هويته هذه هو ما يصبو إليه بعد تحقّق الخطوة الأولى.

وطبعًا انطلاقًا من رواية أمير المؤمنين علي عليه السلام يمكننا أن نجد ما يشير إلى هذه الهويات أيضًا إذ يقول عليه السلام: «النَّاسُ ثَلاثَةٌ: فعالِمٌ ربّانيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ على سَبيلِ نَجاةٍ، وهَمَجٌ رَعاعٌ» [نهج البلاغة، الحكمة 147]. ويمكننا أن نعدّ العالم الربّاني شخصًا وصل إلى الهوية المحصّلة، وهي تلك الهوية التي تتطابق مع الحقيقة والواقع، ومن خلال هاتين الخاصّيتين، أي العثور على الهوية ومطابقتها للواقع، يمكن اعتبار صاحب هذه الهوية قد بلغ مرتبة النفس المطمئنّة التي يشير إليها القرآن الكريم في الآية 27 من سورة الفجر. أمّا "المتعلّم على سبيل النجاة" فيمكن أن تنطبق عليه الهوية المعلّقة، وأمّا الأشخاص الذين دعاهم الإمام بـ "الهمج الرعاع" فيمكن أن تنطبق عليهم الهوية المتقلّبة. ومن يراجع الكتب اللغوية يجد بأنّ كلمة "المذبذب" وكلمة "الذباب" التي يقترب مفهومها من كلمة "الهمج الرعاع" لهما أصل واحد[1]،

1- راجع أي مصدر لغوي، تحت مدخل "ذبب".

وقد عدّ القرآن الكريم هويةً كهذه للمنافقين، وقد استخدم صفة التذبذب في شأنهم، فقال: ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَلا إِلى هؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾ [سورة النساء: 143]. كما يمكن كذلك الإشارة إلى الهوية الراكدة في القرآن الكريم حيث يقول: ﴿**وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ [سورة المائدة: 104]، كما نقرأ كذلك في الآية 170 من سورة البقرة ما يشبه مضمون الآية السابقة: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾.

ويمكن لأيّ شخص إذا أراد أن يتجنّب الوقوع في شراك الهويات المذبذبة أو الراكدة أن ينخرط في شبكة من الأصدقاء الملتزمين والصالحين والذين يتّصفون بالحكمة، وأن يبتعد عن الانخراط في شبكات مضرّة ومجموعات غير صالحة، وبهذا يحصل على هوية محصّلة أو يكون في الطريق الصحيح لتحصيل مثل هذه الهوية. ولكن هناك رؤية أخرى تنظر إلى ظاهرة شبكات التواصل بصورتها المهيمنة وشكلها الغالب والطاغي لدى أغلب المستخدمين، وترى مدى تأثيرها على المجتمع وعلى هوية غالب أفراده. ولا شكّ أنّ الفضاء الافتراضي المتداول اليوم ليست السمة الغالبة عليه هي الحكمة والحقيقة، بل تسيطر عليه حالة الهواية، ويحتشي بالموادّ الإعلامية التي تتضمّن خلفياتٍ فكريةً خاصّةً، لا يستند غالبها إلى أسس متينة وعميقة. إنّ حالة الهرج والمرج الإعلامي وسيطرة الشكّ والتعدّدية المعرفية وعدم الوضوح والسطحية هي من سمات الفضاء الافتراضي الحالي، ولا شكّ أنّ هذه الحالة المسيطرة في الفضاء الافتراضي على أكثر المستخدمين الذين يراجعون شبكات التواصل لأجل الهواية والتسلية لها أثرها في هوية السوادّ الأعظم منهم؛ لذلك فإنّ رواج الهويات المذبذبة أوّلًا، والهويات الراكدة التي يرتاد أصحابها عادةً المجموعات التي تشاركهم الفكر، هو نتاج طبيعي لمخالطة أفراد المجتمع لهذه الشبكات.

ثانيًا: أهمّية الهوية الدينية

الهوية الدينية لا تقصي بقيّة الهويات، بمعنى أنّ تقمّص الهوية الدينية لا يعني وجوب تحقّقها للشخص هي دون غيرها من الهويات الأخرى، بل من الممكن أن يكون للإنسان هويات مختلفة: هوية وطنية وهوية قبلية وهوية تجارية بالاضافة إلى الهوية الدينية، وليس هناك أيّ مانع فكري أو ديني يحول دون هذا الأمر، أمّا المسألة الأهمّ هنا فهي أيٌّ من هذه الهويات يجب أن يحظى بالأولوية، ويستحقّ الاهتمام به وتعميقه وتطويره، في حالة الصراع بين الهويات.

هناك عدّة أسباب تجعلنا نحكم بأولوية الهوية الدينية، من جملتها:

1ـ الهوية الدينية هي أكثر شمولياً، وتتّسع لكلّ ما يحتاجه الإنسان من جميع الهويات الأخرى، وهي في الوقت نفسه أعمق وأدقّ ولها مقبولية أكبر من قبل العقل؛ فهي تحتوي في الوقت نفسه على الرؤية الكونية والأيديولوجيا، كما تبيّن ما هو كائن وتميّزه عمّا هو غير موجود، وما ينبغي فعله وما لا ينبغي، وتهتمّ بالدنيا كما تهتمّ بالآخرة، وكما تهتمّ بالفرد تهتمّ أيضًا بالشؤون الاجتماعية، وتلبّي الاحتياجات المختلفة لأنواع الشخصيات والأذواق منها العقلية والعرفانية وأتباع النقل وغيرها، فهي عميقة جدًّا وفي الوقت نفسه متعدّدة الطبقات، وتتمتّع بقدرتها على تلبيتها حاجات جميع المستويات من أبسطها إلى أعلاها. إنّ اتّساع الدين مع حفاظه على تماسكه وسلامته يعطي هويةً متماسكةً ومتكاملةً للإنسان دون توتّر وصراع. [انظر: بهاروندی، هویت‌سازی دینی و جهانی‌شدن، ص 33 - 51]

2ـ أنّ الدين يتوافق أيضًا مع الحقيقة والواقع، بالإضافة إلى وظائفه المذهلة التي لا مثيل لها، ومن آثار حقيقة الدين ونتائج صدقه أنّه مع أنّ نظرته للعالم صحيحة وتعاليمه واقعية، إلّا أنّ برامجه أيضًا تتناسب وخلقة الإنسان ومتوافقة مع فطرته، ويعود هذا كلّه إلى وحيانيته وتأصّله في علم الله الأزلي، وهو خالق الكون والإنسان ومالك كل شيء.

3ـ يواجه الإنسان في مسيرة حياته، وبسبب طبيعة هذا العالم المادّي، كلّ أنواع المصاعب والمشاكل والمعاناة والأمراض والأحداث الطبيعية وغير الطبيعية وفقدان الأحبّة والظلم والنقص و... والتي تحمل على الإنسان بصورة قاسية، وهنا يتجلّى دور الهوية الدينية؛ إذ إنّها الوحيدة التي تسهّل على الناس تحمّل هذه المشاكل، بما تقدّمه من رؤية للإنسان ووعود بالفلاح والسعادة والمكافأة في الدنيا وفي الحياة الأبدية، بينما لا تؤدّي أيٌّ من الهويات الثقافية الأخرى مثل هذه الوظيفة المهمّة. [المصدر السابق]

4ـ أنّ الدين ـ بحكم انطباقه على الحقيقة والواقع ـ ثابت في مبادئه وأسسه النظرية والأيديولوجية، ولا يتأثّر بمرور الزمن وتغيّر المكان [المصدر السابق]، وهذه الميزة مهمّة وحيوية للغاية، خاصّةً في العالم في عصر العولمة؛ إذ يجبر الكثير من الأشخاص على مغادرة أوطانهم، والاستقرار في بلدان أخرى غير بلدانهم، وهذا ما يبعث على قلقهم بشأن الحفاظ على هويّتهم الخاصّة، وكذا نقلها إلى أطفالهم الذين قد لا يعرفون أوطان آبائهم أبدًا، ولا يزوروها حتّى نهاية عمرهم، على سبيل المثال المسلم الذي هاجر من بلده إلى الغرب، فإنّ ولده الذي يكبر ويترعرع في أجواء ثقافة غربية، فإنّه لا يتعلّق مثل والديه بثقافة بلدهما، فتحدث الفجوة

الثقافيـة ومـن ثـمّ فجـوة الهويـة بـين المهاجريـن في الغـرب وأولادهـم، ولكـن إن تمتّـع الأولاد بالهويـة الدينيـة الـتي لا تحـدّ بحـدٍّ ولا تنحـصر بمـكان ولا تضعّـف وشـائجها الهجـرة وتغيـير بيئـة الحيـاة، فلـن تحـدث تلـك الفجـوة الثقافيـة بـين الآبـاء والأبنـاء؛ لهـذا فـإنّ هـذه المـيزة الخاصّـة بالديـن هي أمـرٌ حيـويٌّ في زمـن انتشـار وسـائل التواصـل الاجتمـاعي، عندمـا يتفاعـل النـاس مـع الهويـات النازحـة عـن وطنهـا، بحيـث يحتاجـون إلى هويـة قويّـة غـير محلّيـة.

بعدمـا تـمّ توضيـح أهمّيـة الهويـة الدينيـة وضرورتهـا، فمـن الـضروري أيضًـا دراسـة العوامـل الـتي تعـزّز هـذه الهويـة أو تضعفهـا، وباعتبـار أنّ الأشـخاص في الشـبكات الاجتماعيـة يتصرّفـون وفقًـا لهويتهـم الثقافيـة الخاصّـة، فـإنّ فحـص دور الشـبكات الاجتماعيـة في تشـكيل منصّـة للتفاعـل الإنسـاني بـين الهويـات الثقافيـة المتعـدّدة مهـمّ وضروري.

ثالثًا: الهوية والمجتمع

نتعامـل في شـبكات التواصـل مـع المجتمـع على أنّـه مجتمـع سـيبراني وافـتراضي، وعلى هـذا الأسـاس تحتـلّ دراسـة العلاقـة المتبادلـة بـين الهويـة الفرديـة والمجتمـع مكانـةً مهمّـةً مـن حيـث الأهمّيـة والـضرورة، ويمكـن دراسـة هـذه العلاقـة مـن زوايـا مختلفـة، ومـن حيثيـات متنوّعـة منهـا مـا يـلي:

1ـ هويـة الفـرد وهويـة المجتمـع: هـل لدى المجتمـع هويـة مسـتقلّة غـير هويـة الأشـخاص؟ إذا قبلنـا أنّ المجتمـع ليـس مجمـوع الأفـراد فقـط، بـل له هويـة مسـتقلّة وقائـم بنفسـه، فإنّـه مـن بين النتائـج المترتّبـة على ذلـك أنّـه قـد يكـون الأفـراد أناسًـا صالحـين، لكـن المجتمـع لا يكـون كذلك، ولكـن إذا كان العكـس ولـم يكـن أفـراد المجتمـع مـن الصالحـين، فهـل يمكـن للمجتمـع أن يكون صالحًـا؟ يبـدو أنّ الجـواب هـو لا؛ لأنّ صـلاح المجتمـع تابـعٌ لصـلاح أفـراده، وأنّ صـلاح المجتمـع يعتمـد على جـودة العلاقـات الـتي تحكـم أفـراده فيمـا بينهـم، والبنيـة الاجتماعيـة المتماسـكة ثانيًا، فالمجتمـع الذي لا تتوفّـر فيـه أيٌّ مـن هـذه الـشروط لا يمكـن أن يكـون مجتمعًـا صالحًـا، وبمعـنى آخـر إنّ صـلاح الأفـراد شرط لازم لصـلاح المجتمـع، ولكـن ليـس شرطًـا كافيًـا.

ولا شـكّ أنّ شـبكات التواصـل مـع مـا تتوفّـر عليـه مـن إمكانـات تـؤدّي إلى بـروز نظـام خـاصّ وهيكليـة خاصّـة للمجتمـع السـيبراني، فعـلى سـبيل المثـال، في هـذا المجتمـع يصبـح المشـاهير والفنّانـون بمـا لديهـم مـن مهـارة في جـذب النـاس وجلـب انتباههـم كقـادة للفكـر، ويصبـح لآرائهـم ونظراتهـم تأثـير على أفـراد المجتمـع أكـثر مـن سـائر شرائـح المجتمـع، فتجدهـم دائمًـا يضخّـون في المجتمـع مـوادّ إعلاميـةً تتضمّـن رؤاهـم ونمـط حياتهـم، وهـذا النظـام وهـذه الهيكليـة

تعطي هويةً خاصّةً للمجتمع السيبراني، وتؤثّر بدورها على هوية الأفراد وهوية المجتمع الخارجي، ومن هذه الناحية تصبح دراسة هندسة شبكات التواصل وكيفية إدارتها وتأثيرها على هذه الهيكلية ـ وبالتالي على هوية المجتمع وهوية الفرد ـ في غاية الأهمّية.

2ـ الهوية المتّصلة والهوية المنقطعة: هل تختلف هوية المرء عندما يكون مرتبطًا بالمجتمع عمّا إذا كان منقطعًا عنه؟ وعلى نفس هذا المنوال يمكننا أن نسأل هل الإنسان المستخدم لشبكات التواصل له هوية مختلفة عمّن لا يستخدمها؟ إنّ الذات على الإنترنت (online self) ـ كما أشرنا إليه سابقًا ـ متّصلة بالمجتمع وتتصرّف كعامل مرتبط ببنيته، ويمكن دراسة تأثير الهوية المتّصلة (على سبيل المثال الهوية المتّصلة بمجتمع ملتزم ومحتشم، وخصوصًا الهوية المتّصلة بشبكات تواصلية كهذه) على الهوية المنقطعة.

3ـ قد يكون الإنسان في الفضاء الإلكتروني عضوًا في مجموعات تختلف أجواؤها من حيث الرؤية الفكرية والأيديولوجية، فكيف يمكن لهذا التفاعل الاجتماعي والانخراط في هذه المجموعات أن يؤثّر علينا فكريًّا وسلوكيًّا وأيديولوجيا؟ هل انخراط الإنسان في مجموعات يتعارض بعضها مع بعض من الناحية الأيديولوجية يؤدّي إلى حدوث اختلال في تكوين هويته؟ وفي هذا الصدد هل الانضمام إلى مجموعات مختلفة في شبكات التواصل يمكن أن تكون معارضةً للدين أو محايدةً يؤدّي إلى تضعيف الهوية الدينية للإنسان أو تقويتها أو إلى القول بالتعدّدية والانفتاح أو غير ذلك؟ هل الانخراط في هذه الشبكات خصوصًا بالنسبة إلى عامّة الناس وأكثر أفراد المجتمع يجعلهم أمام بيئة متنوّعة، وفي معرض مجموعات فكرية مختلفة وحتّى متعارضة، أم أنّ هذا الأمر يتسبّب في التصفية الذاتية للمستخدم نفسه إذا ما ألزم نفسه بالانخراط فقط إلى المجموعات التي تناغم تفكيره، أو من خلال فقاعة التصفية (Filter Bubble) الخاصّة بالذكاء الاصطناعي حسب هوايات المستخدم وخصوصياته؟ كلّ هذه الموضوعات تستحقّ الدراسة والتعمّق ضمن هذا البحث.

4ـ الهوية الشخصية (personl identity) والاجتماعية (Social identity) والجماعية (Collective Identity): أمّا الهوية الشخصية فهي في نظر بعضهم موقف أفراد البشر تجاه أنفسهم وتفسيرهم لوجودهم [شکرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، ص 77]، في حين أنّ الهوية الاجتماعية هي ذلك التصوّر الذي يحصل للإنسان عن نفسه جرّاء معاملة الآخرين له وردود فعلهم تجاهه وحكمهم عليه، فإنّ هذه الأمور تحدّد هويّته الاجتماعية [Carducci, The Psychology of Personality: Viewpoints, Research, and Applications, p. 478]، وأمّا الهوية الجماعية فهي تصوّر الإنسان حول نفسه

على أساس الانتماء إلى مجموعة اجتماعية أكبر، على سبيل المثال، يعتمد المرء على التراث العرقي أو الميول الدينية أو الحضارية ويقول مثلًا: أنا فرنسي أو كندي. [Ibid]

لا شكّ أنّ كلّ هذه الهويات الثلاث الأخيرة التي مرّ ذكرها فوق لها علاقة وتأثير على بعضها البعض، فالهويّة الجماعية تحتّم تشكيل هوية اجتماعية، وهذه الأخيرة أيضًا لها تأثير في معرفة الإنسان هويّة نفسه وتشكيل هويته الشخصية. أمّا شبكات التواصل وانطلاقًا من هيكليتها فإنّها تصبغ الإنسان بهوية عالمية، وبما أنّ هندسة هذه الشبكات وإدارتها مصدره الغرب، فإنّ هندستها وإدارتها تجري على أساس رؤية كونية غير دينية وأيديولوجيا أنسنية، فنرى هيمنة الفكر النفعي عليها وعدم الالتزام بالقيم الأخلاقية والحثّ عليها، وعدم الاهتمام بفهم الحقيقة ونشرها، بل يروّج فيها للخرافات والشائعات والأكاذيب، وبهذه الطريقة سيؤدّي هذا الفضاء إلى تكوين هوية جماعية دولية أنسنية، وهذه الأخيرة بدورها ستؤثّر على الهوية الاجتماعية والهوية الشخصية. وبغضّ النظر عن سائر خصوصيات شبكات التواصل، يمكننا القول بأنّ شبكات التواصل الحالية نظرًا لاستهدافها تكوين هوية دولية أنسنية، فإنّها ستؤدّي إلى تضعيف التديّن والمعنوية الدينية في المجتمات الدينية، مع التأكيد مجدّدًا على أنّها السبب الوحيد والعلّة التامّة لهذا التأثير، بل هناك أسباب ومقتضيات وموانع يجب أخذها بعين الاعتبار.

ومن جانب آخر، لا شكّ أنّ الدين الإسلامي يعتني بكلّ جوانب حياة الإنسان الشخصية والاجتماعية وأبعادها، فهو يلعب دورًا مهمًّا على صعيد الحياة الاجتماعية كما في الحياة الفردية والشخصية للإنسان، ويؤثّر في تكوين الهوية الشخصية والاجتماعية والجماعية للإنسان؛ لهذا يمكن دراسة الهوية الدينية لدى الإنسان في كلّ أبعادها الشخصية والاجتماعية، ومنها الهوية الدينية للمجتمع وأهمّيتها وآثارها وتداعياتها.

إنّ الهوية الدينية تجعل الإنسان متمايزًا ومختلفًا عن الآخرين في عقيدته وأخلاقه وسلوكه، كما أنّ شبكات التواصل بحكم نظامها الخاصّ الذي يعدّ نظامًا فئويًّا متمايلًا إلى الثقافة العامّة تؤثّر على هوية الإنسان الدينية الفردية والاجتماعية، فهي تضعّفها أو تقوّيها حسب الحالة العامّة المهيمنة عليها ومستوى التديّن فيها واقتضاءاتها، وهذا كلّه يؤثّر على تكوين الهوية الجماعية للإنسان في المجتمع. وواضح كذلك أنّ التظاهر بالهوية الدينية ليس كالاعتقاد القلبي وقبول الهوية، فاقتضاءات المجتمع كما تساعد الإنسان على الالتزام بمعتقده قد تفرض عليه خلافه.

رابعًا: مرونة الهوية

يصرّح بعض المفكّرين وهو غيدنز (Anthony Giddens) بأنّ الهوية ليست أمرًا ثابتًا، بل فيها شيءٌ من المرونة (reflexivity) فالناس يبنون هوياتهم ويغيّرونها على أساس الشرائط والمعلومات التي يتلقّونها [گیدنز، تجدد و تشخص، جامعه و هویت شخصی در عصر جدید، ص 82]، وهذا يشمل الهوية بكلا قسميها؛ أعني الفردية والاجتماعية، فهما ليسا أمرين ثابتين وقطعيين، بل هما في حالة تجدّد وإعادة صياغة على الدوام [Patrick, Identity and the politics of recognition, p. 42]، وبتعبير آخر، ليست الهوية ظاهرةً ذاتيةً، بل هي ظاهرة تاريخية مرتبطة بالظروف ونتاجٌ للعمل الاجتماعي، ومع أنّ الهوية تهرب من الثبات والانسداد، ولكن في الوقت نفسه يحكمها نوعٌ من الثبات والاستمرار النسبي [فیروزآبادی، فضای مجازی، اجتماع و فرهنگ، ص 29]، وقد جعل جهاز الجوّال تغيير الهوية وسيّاليّتها أمرًا سهلًا. [هاشمی‌زاده و انصاری نسب، عصر مجازی، ص 74]

وبناءً على التعريف الذي قدّمناه للهوية بأنّها وعيٌ ذاتيٌّ صانعٌ للمعنى، فإنّ أيّ تغيّر جذري في هذا الوعي الذاتي يغيّر رؤيتنا للعالم، يؤدّي كذلك إلى تغيّر في الهوية. وبما أنّ معارفنا ليست على مستوًى واحد، وبعضها أكثر تأثيرًا من بعض؛ فمعارف مثل وجود الحقيقة وإمكان الوصول إليها، أو وجود الله ووجوب عبادته لا يمكن مقارنتها مع المعارف الجزئية من حيث التأثير في الهوية، وعليه فالتحوّل والتغيّر في المعرفة الجزئية لا يغيّر الكثير في هويّة الإنسان، لكنّ تغيّر الإنسان من الإيمان بالله إلى اتّباع أهوائه، وبعبارة أخرى من التوجه الديني إلى النزعة الإنسانية، سيغيّر هويّته جذريًّا ويغيّر معنى الحياة والعالم لديه. ولا يشكل علينا بأنّنا في الفلسفة قلنا بثبات "الأنا" وهذا يعني ثبوت الهوية، فقد أسلفنا أنّنا هنا نستكشف الهوية من منظور الدراسات الثقافية، وليس من منظور علم النفس الفلسفي الذي يرى استقرار الهوية وثباتها، وبالطبع قد يكون لنا موقف مختلف في المنظومات الفلسفية الأخرى، مثل موقف مدرسة الحكمة المتعالية، الذي يولي أهمّية للمعرفة والعلم، ويصوّر هوية الإنسان على أساس وحدة العاقل والمعقول، فعلى أساس هذه النظرية يتّحد العاقل مع معقوله، بل هو نفس معقوله في الوجود والحقيقة، فيمكن القول إنّه حتّى بالنسبة إلى بعض المدارس الفلسفية مثل الحكمة المتعالية هناك تغيّر للذات والهوية مع تغيّر المعارف الأساسية والجذرية، وفي هذه الحالة فإنّ أفق بحثنا هو قريب جدًّا بل منطبق على أفق مناقشة الهوية الفلسفية، التي تعتقد بهويّة مستمرّة وممتدّة طوال الحياة، شهدت تغيّرًا

وحركةً وتطوّرًا تحت تأثير الحركة الجوهرية للجسد. على أيّ حال، ومن خلال نقاشنا الذي هو في مجال الدراسات الثقافية، يمكننا القول إنّ الهوية شيء تاريخي ومرن وسيّال ويمكن أن يمرّ بتغيّرات جوهرية.

وبحكمنا بمرونة الهوية وإمكان تغيّرها وإمكان انتقال الإنسان من هوية إلى هوية أخرى، فإنّ الهوية الدينية ليست مستثناةً من هذا الحكم الكلّي، ويمكن أن يحدث تغيير فيها، فتقوى وتضعُف، بل وحتّى تتبدّل إلى هوية غير دينية، وهذا لا ينافي فطرية الدين، فالإنسان موجود ذو إرادة واختيار، ويمكن أن يترك هويته الفطرية ويتلبّس بهوية غير الفطرية، ويمكن أن يمنع الفطرة من أن تسير على ما تقتضيه لوجود الموانع وتراكم الشبهات، والفضاء الافتراضي وشبكات التواصل كما يمكن أن تكون عاملًا مساعدًا على إيقاظ الفطرة البشرية وتقويتها والسير وفق مقتضياتها، يمكن كذلك أن تؤدّي إلى نتائج عكسية، فتحجب فطرة الإنسان وتحيي الميول والغرائز المعارضة لها، وتحرّك الموانع التي تعيق صحوة الفطرة وأداء وظيفتها في إدارة الإنسان على أساس ما تقتضيه، وهذا كلّه راجع إلى أنّ تأثيرات الفضاء الافتراضي وشبكات التواصل، ومع أنّ القسم الأهمّ منها في يد من يهندس هذه الشبكات ويصمّم بنيتها، ويديرها من خلال سنّ القوانين وبرمجة خوارزميات بحيث يتصرّف في أفكار الناس كما يشاء، إلّا أنّ هناك سهمًا لا بأس به بيد المستخدم، حيث يمكنه اختيار المحتوى المناسبة للهوية الدينية.

خامسًا: أزمة الهوية

يعدّ إريك إريكسون (Erik H. Erikson) أوّل من تناول موضوع هوية الشباب وأهمّية مرحلة المراهقة والشباب في تكوين هوية الفرد وتنميتها، وفي هذا الصدد تعرّض إلى مفهوم أزمة الهوية التي تحدث نتيجة عدم الالتفات أو عدم الاهتمام ببناء هوية سليمة في هذه الفترة الحاسمة [Mandy & others, Podiatry, A Psychological Approach, p. 109]، ويرى بعضهم أنّ أزمة الهويّة ناجمة عن الصراع أو التوتّر بين الهوية الحقيقية (actual identity) من جهة والهوية المثالية (ideal identity) والهوية المرغوبة (ought identity) [اميدى، شريفى، نظريه‌هاى رسانه، ص 131]، فينتج هذا الصراع "التعارض الذاتي" (self_discrepancy). [Crisp & Turner, Essential Social Psychology, p. 191]

إنّ الهوية الحقيقية هي الهوية التي يجدها الإنسان في نفسه، وجدير هنا أن نميّزها عن الهوية المتقمّصة، وهي هوية مزيّفة يتقمّصها الإنسان ويتصرّف على أساسها وهو

لا يمتلكهـا [هاشـمی‌زاده و انصاری‌نسـب، عـصر مجـازی، ص 94 و95]، أمّـا الهويـة المثاليـة فـهي هويـة يتمنّاهـا الإنسـان ويحسـبها مـن أحلامـه، ويتخيّـل نفسـه أنّـه متلبّـس بتلـك الهويـة، وأمّـا الهويـة المرغوبـة فـهي تلـك الهويّـة الـتي يتوقّعهـا المجتمـع مـن الشـخص، على سـبيل المثـال[2] تصـور أنّـك تعمـل في سـوبر ماركـت ولكـن شـخصيًّا تتمـنّى أن تكـون فنّانًـا، في حـين يحـب والداك ويتوقّعـا أن تكـون طبيبًـا، فهويتـك بوصفـك بائعًـا في السـوبرماركت هي هويتـك الحقيقيـة، وأن تكـون فنّانًـا هي هويتـك المثاليـة وأن تكـون طبيبًـا هي هويتـك المرغوبـة.

[Crisp & Turner, Essential Social Psychology, p. 191]

ويـرى المفكّـرون أنّ الـصراع بـين الهويّـة الحقيقيـة والهويـة المثاليـة ينتـهي إلى القنـوط والحـزن، ولكـنّ الـصراع والتوتّـر بـين الهويـة الحقيقيـة وهـذه الهويـة المرغوبـة ينتـهي إلى القلـق والخـوف والغضـب، والمهـمّ هـو أنّ لدينـا في كلتـا الحالتـين أزمـة الهويـة والتعـارض الذاتي [ibid]. ويبـدو أنّـه وفقًـا للأنـواع الأربعـة للهويـة الـتي ذكرناهـا سـابقًا، يمكـن القـول إنّـه مـن الـضروري أن تكـون للإنسـان هويّـة محصّلـة أو على الأقـلّ هويـة معلّقـة حـتّى يجتنّـب أزمـة الهويـة، فالشـخص الذي يبحـث عـن الحقيقـة ويسـير وفـق هويـة مدروسـة وواعيـة، لا يسـتبعد أن ينـال الهويـة المثاليـة، فهـو غـير مقيّـد بـآراء النـاس وتوقّعاتهـم، لكـن مـن يملـك هويّـةً راكـدةً أو هويـةً متذبذبـةً سـيكون بـلا شـكٍّ معرّضًـا للمعانـاة مـن أزمـة الهويـة؛ لأنّ هويّتـه لا تسـتند إلى أسـس عميقـة وراسـخة ومدروسـة. وفي هـذا الصـدد مـن الـضروري جـدًّا لآبـاء الأحـداث وأوليائهـم والمسـؤولين الذيـن يعتقـدون بالهويـة الإسـلامية والدينيـة وضرورة تفعيلهـا أن يتقرّبـوا مـن الشـباب، ويحاولـوا أن يوعّوهـم ويجعلوهـم يتحلّـون بالواقعيـة، وأن يقدّمـوا لهـم الديـن بشـكل صحيـح. وقـد ورد في الأحاديـث عـن الإمـام أبي جعفـر الباقـر عليه السلام أنّـه قـال: «لـو أُتِيـتُ بشـاب مـن شـباب الشـيعة لا يتفقّـه لأدّبتـه» [البرقـي، المحاسـن، ج 1، ص 357]، وفي حديـث آخـر له قـال عليه السلام: «بـادروا أحداثكـم بالحديـث قبـل أن يسـبقكم إليهـم المرجئـة» [الكليني، الـكافي، ج 6، ص 47]؛ وذلـك لأنّ الشـاب عندمـا يقتنـع بمذهـب مـا يتّخـذه أساسًـا، ويتّخـذ موقفًـا دفاعيًّـا في مواجهـة المذاهـب الأخـرى، ويتعامل مـع بعـض تعاليمهـا كشـبهات يجـب دفعهـا؛ لذلـك إذا حصـل الإنسـان على هويـة محصّلـة، وكانـت هويّـةً دينيـةً، فعليـه أن يسـعى لأن يلبّـس أولاده بهـا.

2- مثـال آخـر للهويـة المرغوبـة: هكـذا يشـعر أغلـب الطـلّاب المتميّزيـن في كثـير مـن البلـدان الشرقيـة بـأنّ مجتمعاتهـم تتوقّـع منهـم أن يهاجـروا إلى الغـرب والـدول الصناعيـة لمواصلـة التعليـم والعمـل، وإلّا لم يكونـوا نخبـةً أو أذكيـاء بقـدر كافٍ، فعليهـم أن يتقمّصـوا هويـة المهاجـر والمسـتوطن في الغـرب.

المبحث الثالث: الفضاء الافتراضي وهويّة الإنسان

أوّلًا: الشبكات الاجتماعية والهويّة ما بعد الحداثية

لـم يخـف على مراقـبي تاريـخ الفكـر والفلسـفة والثقافـة تأثـير وسـائل الإعـلام في ظهـور عـصر مـا بعـد الحداثـة، وبالطبـع فقـد كان لوسـائل التواصـل الاجتمـاعي والرقـمي إسـهامٌ كبـيرٌ في اقتراب هـذا العـصر مـن ذروتـه وازديـاد حدّتـه، مـن خـلال التميـيز بـين وسـائل الإعـلام.

يعـدّ مـارك بوسـتر (Poster Mark) وسـائل الإعـلام القديمـة وسـائل إعـلام مـن العـصر الأوّل، في حـين يـرى أنّ وسـائل التواصـل الاجتمـاعي وسـائل إعـلام مـن العـصر الثـاني، ويتجسّـد الواقـع فيهـا بشـكل متعـدّد الطبقـات. [باستر، عصر دوم رسانه‌ها، ص 63]

لقـد أحدثـت هـذه الوسـائط ثـورةً كبـيرةً في الثقافـة والطريقـة الـتي يتـمّ بهـا بنـاء هوياتنـا [المصدر السابق، ص 52]؛ لهـذا يعـدّ بعضهـم الشـبكات الاجتماعيـة السـيبرانية عامـلًا مسـاعدًا لظهـور الهويّـة مـا بعـد الحداثيـة، ويـرون أنّ هـذه الهويّـة تتحقّـق في الإنترنـت بمـا توفّـره مـن إمكانيـة لعـرض الذات مـن خـلال الملفّـات الشـخصية، واسـتخدام لغـة الإعـلام لعـرض الذات و"الأنـا" بشـكل مرقّـع. [Hartley & Others, A Companion to New Media Dynamics, p. 358.]

في فـترة "مـا قبـل الحداثـة" كان يُنظـر إلى الهويّـة على أنّهـا حقيقـة ثابتـة، فيُقـدّم للإنسـان شيءٌ يهـب معـنًى لوجـوده ويحـدّد هويتـه، وهـذا مـا كان موجـودًا عنـد كلّ النـاس؛ لذا فـإنّ الهويّـة شيءٌ ثابـتٌ ولـن يكـون للعالـم الاجتمـاعي والثقـافي ومـا إلى ذلـك أيّ تأثـير عليهـا [شكرخواه، فضاى مجازى، ملاحظات اخلاقى، حقوقى و اجتماعى، ص 67]، ومـع ذلـك فـإنّ العضويّـة في الشـبكات في العـصر الحديـث اختياريـة، وليسـت إجباريـة، وأصبـح التسـامح مـع الآخريـن أكـثر حضـورًا في الإنسـان، وبمـا أنّـه مسـؤول عـن أفعـاله وخياراتـه، فهـو أكـثر خوفًـا مـن ذي قبـل [المصدر السابق، ص 68]،

ولكـن كيـف تـروّج وسـائل التواصـل الاجتمـاعي لهويّـة مـا بعـد الحداثـة؟ وفقًـا لديفيـد ديكـنز (David Dickens) أنّ الذات مـا بعـد الحداثيـة حصلت في إطار وسـائل التواصل الاجتماعي والشـبكات على ذريعـة للتشـكيك في جميـع الافتراضـات بسـبب تعرّفهـا على وجهـات النظـر المختلفـة، وفي إطارٍ كهـذا، فـإنّ الذات على الإنترنـت (online self) الـتي يتعـارض نمـط تفكيرهـا مـع نمـط تفكـير عمـوم النـاس لا تجـد نفسـها وحيـدةً، بـل تجـد الكثـير مـن الأشـخاص الذيـن يشـاركونها الفكـر والعمـل، ويـضرب ديكـنز مثـالًا لذلـك العائلات الـتي لا ترغـب في إنجـاب الأطفـال. [Volsche, Shelly, Voluntarily Childfree: Identity and Kinship in the United States, p. 21]

ويعدّ مارك بوستر (Mark Poster) التواصل القائم على الوسائط الإلكترونية عاملًا رئيسيًّا في تكوين عقليات غير مستقرّة ومتعدّدة الهويّات، والتي بالإضافة إلى أنّها ترمي المعتقدات السابقة بسهام الشكّ والترديد، فإنّها تعزّز كذلك إمكانية تكوين هويّات مجزّأة وغير مستقرّة؛ إذ يمكن للأشخاص إعادة إنشاء أنفسهم وعالمهم في البيئة الافتراضية، وأصبح بامكان الأشخاص في غرف الدردشة الافتراضية أن يبدوا بالضبط كما يريدون أن يكونوا، وبالصورة التي يتمنّون أن يراهم الآخرون عليها [شكرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، ص 73]، كما يرى بوستر أنّ أهمّ نتيجة للوسائط الإلكترونية الجديدة هي انتشار الهويّة ما وراء الوطنية ما بين مستخدميها. [المصدر السابق، ص 18]

ثانيًا: خصائص الهويّة أو الذات ما بعد الحداثية

ليست ما بعد الحداثة مدرسة فكريّة بالمعنى الدقيق في نظر بعضهم، كما أنّها ليست حركةً فكريةً موحّدةً لها هدفٌ محدّدٌ، كما وليس لها منظّر أو متحدّثٌ رسمي معيّن [وارد، پست‌مدرنیسم، ص 15]، فما بعد الحداثة هي مجموعة من الأفكار التي تحاول تعريف أو شرح الحالة الراهنة للمجتمع [المصدر السابق، ص 16]، وربّما لهذا السبب أطلق جون فرانسوا ليوتار (Jean_François Lyotard) على كتابه المهمّ عنوان "الوضع ما بعد الحداثي" (The Postmodern Condition)، الذي يصف فيه ما بعد الحداثة.

وفقًا لبعضهم، يمكن تحديد واقع ما بعد الحداثة، بكلّ تنّوعاته وإمكانية الاختيار بينها، في فكرتين رئيسيتين:

1ـ لا يوجد طبيعة (nature) مشتركة أو حقيقة عامّة، أو عالمٌ واحد، أو فكر موضوعي ومحايد.

2ـ أنّ جميع الأنظمة البشريّة مثل لغة لها مرجعيتها الذاتية التي تعكس ذاتها، ولا تشير إلى حقيقة أخرى. [Ermarth, Routledge Encyclopedia of Philosophy, Postmodernism, 1998]

من الواضح أنّ الفكرة الثانية ناتجة عن الفكرة الأولى، فإنّنا إن لم نعتقد بعالم واحد تتحقّق فيه الأفكار والنظم الفكرية، وإن لم نعتقد بحقيقة عامّة تقاس بالنسبة إليها الأفكار وتقارن بها الرؤى، كانت النتيجة أن نعتقد بالمرجعية الذاتية لكلّ واحد من الأنظمة الفكرية، ولا يمكن حينها الحصول على مبنًى مشترك لها، بل يصبح لكلّ منها لعبته اللغوية الخاصّة حسب تعبير فيتغنشتاين (Wittgenstein)، وهذا ليس إلّا وجهًا آخر للنسبية التي وقع فيها

الفكـر مـا بعـد الحـداثي ومـا قبلـه كذلـك، فمـع كلّ مـا تعانيـه المعرفـة مـن ضعـف بنيـوي، إلّا أنّـه لايمكـن إثباتهـا وتقييمهـا على أسـاس معايـير خارجيـة، وهـذا مـا لا يقبلـه العقـل الفلسـفي ولا الفكـر الديـني، بـل هنـاك معـارف بدهيـة يرجـع إليهـا العقـل العمـلي وكـذا العقـل النظري. هـذا من منظـور معـرفي (إبسـتمولوجي) ولكـن يمكـن كذلـك، بـل يجـدر دراسـة الموضـوع مـن زاويـة أخـرى وهي زاويـة علـم اجتمـاع المعرفـة، أو فينومنولوجيـا المعرفـة بمعـنى دراسـة المعرفـة مـن حيـث قبولها وتداولهـا لدى النـاس والمجتمعـات المختلفـة في أزمنـة مختلفـة، بغـضّ النظـر عـن صحّتهـا وسـقمها.

ويبـدو أنّ "مناهضـة المركزيّـة والمرجعيـة" في وضـع مـا بعـد الحداثـة يؤثّر أيضًـا على الهويّـات التي تعيـش في هـذا الفضـاء، فمنظّـرو مـا بعـد الحداثـة يـرون أنّ الهويّـات ليسـت ثابتـةً أو متأصّلـةً أو غـير قابلـة للتغـيّر بـأيّ حـال مـن الأحـوال، وبـدلًا مـن ذلـك، يؤكّـد مـا بعـد الحداثيـون على الهويّـة غـير المتأصّلـة والتاريخيّـة والسـائلة للإنسـان، فضـلًا عـن تشـتّت الفـرد وتفكّكـه.

[شـكرخواه، فضـای مجـازی، ملاحظـات اخلاقـی، حقوقـی و اجتماعـی، ص 72]

وقـد تعرّضنـا نحـن إلى مسـألة مرونـة الهويـة وأقررنـا بإمكانيـة تغـيّر الهويـة وكيفيتهـا، فعـلى أسـاس الوضـع مـا بعـد الحـداثي يمكـن أن تتحقّـق الهويـات المتنوّعـة في مجتمـع واحـد، بـل في فـرد واحـد، وليـس في حقبـات طويلـة مـن الزمـان وحسـب، بـل حـتّى في حقبـة زمنيـة واحـدة بتغـيّر الأوضـاع والحـالات، دون انتبـاه ولا حـتّى اكـتراث للتعـارض أو عـدم الانسـجام بـين هـذه الهويـات. فعـلى سـبيل المثـال إذا كانـت الهويـة الرسـمية للمجتمـع الغـربي في القديـم هي الهويـة الدينيـة، وفي عـصر النهضـة والتنويـر كانـت الهويـة الرسـمية هي الهويـة الأنسـنية، ولكـن في وضـع مـا بعـد الحداثـة ليسـت عندنـا هويـة رسـمية، بـل يُعـترف بـأيّ هويـة دينيـة أو غـير دينيـة في ذلـك المجتمـع، أو بالتعدّديـة المعرفيـة.

وفي الوقـت الذي يُعتقـد فيـه بـأنّ الهويّـة الحداثيـة أكـثر انفتاحًـا وديناميكيـة، وأنّـه يتـمّ تعلّمهـا واكتسـابها، غالبًـا مـا توصـف هويّـة مـا بعـد الحداثـة بأنّها غـير آمنـة وقلقـة وانسـيابية ومتعـدّدة.

[Behrends, How to Conceptualise a Postmodern Unterstanding of Identity in Relation to "Race", p. 5]

وإذا كانـت الهويّـة الحداثيـة ماهويـةً (Essential)، فهويّـة مـا بعـد الحداثـة يمكـن عدّهـا بنيويّـةً (Structural)، وبعبـارة أخـرى، تتعامـل مـا بعـد الحداثـة مـع الهويّـة باعتبارهـا شـيئًا يجـري بنـاؤه باسـتمرار، وتـرى وجهـة النظـر هـذه أنّ الهويّـة مجـزّأة (fragmented) وليسـت موحَّـدةً (Unified)، ومتعدّدة (Multiple) وليسـت منفردةً (Singular)، وموسّـعة (Expanse) وليسـت محدودةً (Bounded).

[Kumaravadivelu, B. Anonimo, Cultural Globalization and Language Education, p.143-144]

إنّ هويةً بهذه الميزات والخصائص التي خلّفها وضع ما بعد الحداثة، والتي تكوّنت وتطوّرت في إطار شبكات التواصل والفضاء السيبراني، تستحقّ الدراسة من جوانب مختلفة، خصوصًا من زاوية علم النفس، حيث تدرس تأثيرات التلبّس بهذه الهوية القلقة والإنسيابية والمتعدّدة والمجزّأة والمنفردة والموسّعة على نفس الإنسان، وهل يؤدّي عدم الثبات والالتزام بهوية واحدة متينة إلى حرمان الإنسان من ملجإٍ وحصنٍ في مواجهة صعوبات الحياة، وتأثير هذا الأمر على مبتغى إنسان في الحصول على معنى للحياة وعدم الوقوع في فخّ العدمية وسائر الأمراض النفسية، كذلك تستحقّ الهوية ما بعد الحداثية الدراسة في ضوء علم الاجتماع، إذ يُدرس تأثير عدم وجود هويّة رسمية شاملة على كيفية تصرّف الناس في ذلك المجتمع، وما إذا كان الفرد المتجزّئ الذي لا يحظى بهوية شاملة ومتينة وعميقة يهتمّ للمجتمع الذي يعيش فيه، ويضحّي بالغالي والنفيس لأجل تقدّم ذلك الجتمع والدفاع عنه. وبما أنّ بحثنا يدور حول معالجة الهوية الناتجة عن هذه الشبكات وعلاقتها بالدين وظاهرة التديّن، يمكن القول إنّ الدين ما دام يصرّ معرفيًّا على وجود الحقّ والحقيقة، ويعدّ الطرق غيره طرق ضلال: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾ [سورة يونس: 32]، كما أنّ الدين يتطلّب الالتزام القلبي المستمرّ بالله، والإيمان بكلّ تعاليمه من طرف الفرد، كما يحذّر من وقوع التفرقة بين المؤمنين ويدعو إلى الاعتصام بحبل الله في الوقت الذي يقرّ بوجود الثقافات المختلفة، وكذا الهويات القومية والشعوب المتنوعة، ويرى أنّ هذه الظاهرة هي من سنن الله لأجل حصول التعارف بين الناس، وليس لأجل ابتعادهم وتفرّقهم، فإنّ هندسة شبكات التواصل وإدارتها بما هي عليه تسير خلاف مقاصد الدين وتضعّف الهوية الدينية.

ووفقًا لأليسون كرامر (Alison Kramer) فإنّه على عكس الذات الحداثيّة التي كانت تولي اهتمامًا لتطلّعات المجتمع وتسعى لإرضائها والسير وفقًا لها، لا تتوفّر الهويّة ما بعد الحداثية على هذه السمة، ولا يهمّها ما يعتقده الآخرون حولها، بل ما يهمّ هو كيف يبدو الشخص بالنسبة لنفسه هو، وأنّه ذلك الشخص الحقيقي الذي يجب أن يجعله سعيدًا، وإذا تطلّع الشخص إلى الإعجابات فليس ذلك لتأكيد سلوكه، ولكن لتأكيد وضعه الاجتماعي، ووفقًا له فإنّ الأشخاص الذين يكتبون تعليقات على الويب عادةً ما يشعرون بلذّة هائلة من إظهار ذاتهم بصورة رافضة ومناهضة لرؤية المجتمع.

[Kramer, UnMarketing: Stop Marketing, Start Engaging, p. 115]

إنّ هـذه المـيزة أعـني عـدم الاهتمـام مطلقًـا بمـا يرتضيـه المجتمـع أمـرٌ لا يستحسـنه الديـن، بل إنّـه يفصّـل في ذلـك بـين مـا إذا كان المجتمـع مسـلمًا فيطلـب مـن المتديّنـين حينهـا اللجـوء إليـه، وبـين مـا إذا كان المجتمـع غـير مسـلمٍ فيطلـب الديـن الإسـلامي تركـه إذا مـا أحـسّ الشـخص بـأنّ إيمانـه في معـرض الخطـر، والثقافـة الإجتماعيـة الإسـلامية الـتي تسـاهم في تشـييد الهويـة الدينيـة للإنسـان وترسـيخها إنّمـا تتحقّـق بالاهتمـام بأحـكام الديـن كالأمـر بالمعـروف والنـهي عـن المنكـر والتـواصي بالخـير والحـقّ، وغيرهـا مـن الأمـور الـتي يتطلّـب تفعيلهـا وتأثيرهـا أن لا يكـون الإنسـان خامـلًا، بـل له إحسـاس بالمسـؤولية، وأن يكـون مهتمًّـا بالمجتمـع ونظرتـه إليـه.

ويجـادل بعـض النقّـاد بـأنّ مـا بعـد الحداثـة قـد أزالـت محوريّـة فاعـل الإدراك الفـرديّ لدرجـة أنّ الهويّـات أصبحـت فارغـةً وسـطحيةً، تتلاعـب باسـتمرار بالنصـوص والصـور الـتي تعكـس الواقـع اليـومي في مجتمعـات مـا بعـد الحداثـة، لكـن مـن وجهـة نظـر المؤيّديـن، فـإنّ مـا بعـد الحداثـة لا تـؤدّي إلى فقـدان أو إضعـاف الضمـير، بـل لهـا تأثـيرٌ تحريـريٌّ للأفـراد، فالضمـير مـا بعـد الحـداثي هـو ضمـير يعمـل بحرّيـة وخـالٍ مـن القيـود البنيويـة للمجتمـع الحديـث، وبهـذا المعـنى، فـإنّ السـمة الرئيسـيّة لمـا بعـد الحداثـة هي قـدرة الفـرد على بنـاء هويّـات حـرّة خاليـة مـن التقاليـد والطبقيّـة، وبالطبـع، في مجتمـع مـا بعـد الحداثـة، حرّيـة اختيـار الهويّـة الشـخصيّة هي نفسـها حرّيـة اسـتهلاك ، ويقـول زيغمونـد باومـان (Zigmunt Bauman) إنّـه في عالـم مـا بعـد الحداثـة الذي يتشـكّل مـن خـلال الصـور الكثـيرة المتلاحقـة والمـوادّ الاسـتهلاكية المتنوّعـة، يمكـن تغيـير الهويّـات تمامًـا مثـل تغيـير عادات التسـوّق، ولكـن هنـاك وجهـة نظـر ثالثـة تعـدّ مـا بعـد الحداثـة مسـاحةً ثالثـةً لـم تختـف فيهـا مقـولات مثـل الطبقيـة والجنـس والعـرق تمامًـا، ولكنّهـا تحوّلـت إلى مظاهـر تعكـس المقـولات الآنفـة ذكرهـا بصـورة أكـثر وعيًـا بالهويّـة الاجتماعيـة.

[شـكرخواه، فضـای مجـازی، ملاحظـات اخلاقـی، حقوقـی و اجتماعـی، ص 73 - 75]

ولا شـكّ في أنّ التعقّـل والتعمّـق والتفقّـه في الديـن الذي يتطلّـب حرّيـة الفكـر والتعبـير وحـتّى العقيـدة ﴿**لَا إِكْـرَاهَ فِي الدِّيـنِ**﴾ [سـورة البقـرة: 256] مـن أهـمّ الأمـور مـن منظـار الديـن الإسـلامي، ولكـنّ كلّ هـذا لا بـدّ أن يتـمّ بصـورة منضبطـة وبعيـدًا عـن التهـاون بالأمـر، مـا يـؤدّي إلى اختيـار هويـة واعيـة متينـة، أمّـا الحرّيـة بمعـنى التهـوّر والطيـش واللامبـالاة وعـدم التقيّـد بـأيّ معيـار وقيـد، بحيـث يتلبّـس الإنسـان بـأيّ هويـة ـ وإن لـم ينطبـق على المعايـير الدينيـة ـ كمـا يتسـوّق ووفقًـا لمـا يحلـو له، فهـذا ليـس أمـرًا محبّـذًا في نظـرة الديـن، فهويّـة الإنسـان تعـيّن نمـط

حياتـه، وتضمـن سـعادته إذا كان هويـةً صحيحـةً، وتتسـبّب في شـقائه إذا كانـت هويّـةً باطلـةً، ولا يجـوز للإنسـان أن يأخـذ أمـرًا بهـذه الأهمّيـة باسـتهزاء.

ثالثًا: المحاكاة الافتراضية.. الهويّة المرقّعة والتفكير السيّار

يعتقـد بعضهـم أنّ الافتراضيـة قـد انتهكـت مبـدأ "أن نكـون معًـا" [شـايگان، افسـون زدگـى جديـد، هويـت چهـل تكـه و تفكـر سـيار، ص 337]، ويضيـف أنّ الافتراضيـة تـؤدّي إلى تفاعـل شـامل وعلى نطـاق واسـع جـدًّا، أمّـا نتيجـة هـذا النـوع مـن التواصـل فهـو أن تتجمّـع جميـع الثقافـات مثل فسيفسـاء مـع بعضهـا، وتخلـق مجـالاتٍ للتمـازج والاختـلاط الثقـافي فيمـا بينهمـا [المصـدر السـابق، ص 14]، ويعتقـد هـذا المفكّـر بـأنّ مثـل هـذا الموقـف أدّى إلى عـدم اعتبـار الحقائـق الميتافيزيقيـة العظيمـة الـتي تكمـن وراء الأنطولوجيـات السـابقة، وبالتـالي هنـاك العديـد مـن التفسـيرات المختلفـة، بحيـث يحـقّ لـكلّ شـخص تفسـير جوانـب الوجـود بنـاءً على قيـم عقلـه، كمـا يعتقـد بـأنّ وعي الإنسـان ومعارفـه توسّـعت إلى حـدٍّ لـم يعـد بمقـدرة أيّ ثقافـةٍ أن تجيـب بمفردهـا على كلّ حاجـات الإنسـان؛ لذا فـإنّ الهويّـة البشريّـة في مثـل هـذه الظـروف تتّصـف بالتعدّديـة، وعلى حـدّ تعبـير شـايغان تظهـر بأربعـين وجهًـا، ويـرى كذلـك أنّـه نتيجـةً لهـذه الأحـداث، أصبحـت تُرفـض الأفـكار الموحّـدة والأنظمـة الفكريـة المتشـعّبة، وعلى العكـس مـن ذلـك، يُحـترم "الفكـر السـيّار"، وينمـو التعاطـف، وتهجـين الثقافـات بعضهـا مـع بعـض. [المصـدر السـابق، ص 15]

وأصبـح باسـتطاعة الشـخص "متعـدّد الهويّـات" الجمـع بـين الأشـياء ومنحهـا ترتيبًـا جديـدًا باسـتخدام المـوارد اللانهائيـة الـتي توفّرهـا الروابـط الثقافيـة، وبفضـل هـذه الإمكانيّـات، تمكّـن الإنسـان مـن إنشـاء موطـنٍ شـخصيٍّ ومتناغـم لنفسـه، ويضيـف أنّ الافتراضيـة جعلـت العالـم أكـثر وضوحًـا، وقلبـت العلاقـة بـين الداخـل والخـارج باسـتخدام موبيـوس (Möbius)[3]، وعـزّزت الخاصّيـة الجذموريـة[4] للشـبكات، وقيـم التفكـير السـيّار، وسـهّلت تقاطـع الثقافـات، وبالتـالي لقـد منحتنـا الهويّـة ذات الأربعـين وجهًـا والشـكل الفسيفسـائي والمتنـوّع للعالـم منزلـةً وقـدرًا.

ومـن الواضـح جـدًّا قرابـة التوصيـف الذي يقدّمـه هـذا المفكّـر مـن هويّـة سـيّارة وهويـة ذات أربعـين وجهًـا حسـب تعبـيره ممّـا قدّمنـاه حـول الهويـة مـا بعـد الحداثيـة، ولكـن مـن جانـب

3- في نظـر شـايغان لا توجـد صفـة الداخـل والخـارج في موبيـوس، ولا يوجـد تمايـز واضـح في الفضـاء الافـتراضي بـين الثنائيـات كالعمومـي والخصـوصي، والمؤلّـف والقـارئ، والذهنـي والعينـي.

4- يتميّـز الاتّصـال أو الارتبـاط الجذمـوري بفقـدان المركزيـة والتسلسـل الهرمـي والقيـادة المطلقـة؛ هـذا لأنّـه في النـصّ التشـعبي لشـبكة الويـب العالميـة، يمكـن ربـط أي نقطـة مبـاشرة بجميـع النقـاط الأخـرى. [شـايغان، افسـون زدگـى جديـد، ص 338 - 342]

آخر يبدو من كلامه وكأنّه يوصي بأن نتعامل مع العالم الجديد وما بعد الحداثة كتعامل المتأثّرين بهذه الثقافة معه، وكما هو واضح فهو خلط كبير بين النظرة المعرفية ونظرة علم اجتماع المعرفة وفينومنولوجيا المعرفة، فنحن حتّى وإن سلّمنا بأنّ الناس المتأثّرين بالثقافة ما بعد الحداثية يتعاملون كلّهم أو جلّهم وفقًا لهذه الثقافة، ولكنّ هذا لا يعني بأنّ هذه الرؤية صحيحة معرفيًّا؛ لهذا فإنّ ما بعد الحداثيين فقدوا البوصلة، وأخطؤوا في تحديد مسيرهم وكيفية تعاملهم مع الأمور في هذا الوضع.

رابعًا: الشبكات الاجتماعية السيبرانية والهوية البشرية الحقيقية

ينطلق ألبرت بورغمان (Albert Borgmann) من تأثير الشبكات الاجتماعية السيبرانية على الهويّة البشرية الحقيقيّة واليوميّة، ويتّخذ من هذا التأثير مقياسًا في تحليل هذه الظاهرة التكنولوجية، ومن خلال اقتراح فكرة الواقعية المفرطة (hyperreality) أو المعلومات بمثابة الواقع وهيمنتها على العالم الحقيقي، ويعتقد بورغمان أنّ التعلّق بالإنترنت يضعّف ويدمّر العلاقات الإنسانية مع الآخرين في الفضاء الواقعي، ووفقًا لبورغمان فإنّ هذا الدمار والتحوّل يحدث في الشبكات الاجتماعية حينما يصطنع الناس نسخًا غير طبيعيّة من ذواتهم وعرضها للآخرين لأجل الترفيه والمرح، بدل أن يسمحوا لهويّاتهم الحقيقية بتماميتها وتعقيدها بالبروز، ومن وجهة نظر بورغمان، يكمُن خطر الواقعيّات المفرطة في أنّنا بعد عودتنا من رونقها غير الواقعي الذي لا يمتّ بصلة إلى الحقيقة العضويّة والموضوعيّة التي لا تتمتّع ـ بطبيعة الحال ـ بمثل هذا الرونق، نشعر بالإرهاق والخيبة، ويقارن بورغمان بريق الواقع الافتراضي بكآبة الواقع الحقيقي في كتابه "الاعتماد على الواقع" الصادر عام 1999، فيصف الجماعية عبر الإنترنت بأنّها سجونٌ متعدّدة المستخدمين، ومساحة افتراضية ضبابية تتسلّل إلى مجموعات بشريّة حقيقيّة وتجعلها مبهمةً وغامضةً

[Vallor, Social Networking and Ethics, from: https://plato.stanford.edu/entries/ethics-social-networking].

ومن الأمثلة التي يستشهد بها بورغمان في هذا الصدد وضعية "ديبورا ورالف"، اللذين لم يكونا قادرين على التفاعل في العالم الحقيقي، ولكن كان يمكنهما التفاعل بسهولة مع بعض من خلال الرسائل وعبر الإنترنت، ووفقًا لبورغمان فإنّ هذا الأمر لم ينجح في علاج خجل رالف حقًّا، كما لم تتعلّم ديبورا كيفيّة كسر الجليد وتتعلّم التعامل في الفضاء الحقيقي، وبدل ذلك استخدم كلاهما الإنترنت لإنشاء نسخ من ذاتيهما كانت لها فعلًا مزايا وسمات يفتقران إليها، ولم يعد لديهما بذلك أيّ داعٍ للحصول على تلك المزايا والسمات في

عالم الحقيقة لحصولهما عليها افتراضيًّا، ووفقًا لبورغمان، يسمع المرء أحيانًا حكايات عن بدايات افتراضية لها نهايات سعيدة حقًّا، لكن وفقًا لديفيد بناهوم (David Bennahum) غالبًا ما يواجه ذوو التجارب والسوابق في الواقع الافتراضي قصص الصداقات الشبكية التي دمّرتها الحياة الواقعية، ووفقًا لبورغمان، فإنّ السبب في ذلك هو هيمنة ميزة "المعلومة بمثابة الحقيقة" في الفضاء الإلكتروني، التي تجعل الشخص أقلّ قابليةً لأن يكون شخصًا، وتجعل الحقيقة أقلّ واقعيةً.[Borgmann, Information and reality at the turn of the century, p. 30].

ويشير بورغمان إلى انفصال فضاء وسائل التواصل الاجتماعي عن المكان وانتماء الإنسان في هذا الفضاء إلى اللامكان، ويعتقد أنّه إذا كان المرء في الفضاء الافتراضي حاضرًا بغضّ النظر عن مكانه في العالم، فهذا يعني أنّه لا يوجد أحد حاضرٌ حقًّا؛ لأن التواجد في المكان شرط في الحضور، ومن ناحية أخرى، يعتقد أنّ الحضور في الإنترنت ضعيف؛ إذ يمكن حظر الأشخاص المملّين على الإنترنت وقتما نريد، وبالإضافة إلى ذلك يمكننا أيضًا استخدام أدوات المراقبة للتخلّص من الأشخاص الذين يسبّبون الإزعاج كي نبقى في مأمنٍ من إزعاجهم، كما تحرمنا الشبكات الذكيّة الواسعة النطاق من المواجهات الطارئة مع الأشخاص الذين نلتقي بهم في الحفلات الموسيقية والألعاب والمؤتمرات السياسية، ومن ثمّ فنحن حاليًّا متّصلون فقط للترفيه والمعلومات التي نهتمّ بها في هذا الفضاء، ومثل هذا التواصل غير القابل للتغيير يخلق حرمانًا مضاعفًا في حياتنا؛ فلا يمكننا رؤية الأشخاص من حولنا ونُحرم من توجيهاتهم والأحكام التي نتلقّاها منهم عندما نكون عندهم ومعهم، كما نحرم من الأجواء الاجتماعية التي تعزّز تركيزنا عند الاستماع إلى الحفلات الموسيقية أو عند حضور المؤتمرات، وعلى الرغم من أنّنا أصبحنا على ما يبدو مواطنين عالميين بعيون وآذان فائقة الذكاء حاضرة في كلّ مكان بوسعة ودقّة غير مسبوقين، فإنّ العالم الذي انتشر بذكاء فائق أمامنا فقد قوّته وقدرته.

[Vallor, Social Networking and Ethics, from: https://plato.stanford.edu/entries/ethics-social-networking].

إنّ التجربة في الحياة الواقعية أيضًا تؤيّد ما يطرحه بورغمان، فعلى سبيل المثال إنّ المحاكم الأسرية مملوءة بملفات الأزواج الذين تعرّفوا على بعض في شبكات التواصل، وانجذب بعضهم إلى بعض متأثّرين بالهويات القويّة التي كانوا يستعملونها على الشبكات، ولكن بعد الزواج واجهوا النسخ الأصلية لهويات بعضهم بعضًا، فلم يستطع كلّ طرف تحمّل الطرف الآخر والعيش إلى جانبه. كذلك يلاحظ على الشباب الذين أمضوا حياتهم في شبكات التواصل والألعاب الحاسوبية ثمّ بلغوا مرحلة الكهولة، أنهم قد يكونون ناجحين في

الأعمال الإعلامية، ولكن لا يمتلكون تلك الهوية الجريئة والشجاعة والمقدامة التي تسمح لهم باقتحام معترك الحياة وتحمّل أدوار جدّية؛ كالزوج والأب والقائد وأمثالها، فتجدهم لا يتحمّلون هذه الأدوار من الأساس أو يتحمّلونها، ولكنّهم لا ينجحون في النهوض بمتطلّباتها. إنّ شبكات التواصل والنشاط فيها يخفض حسّ المسؤولية في الإنسان والتزامه في الحياة في نظر بورغمان، وما دام الأمر كذلك فإنّها مخالفة لروح الدين ومقاصده، فالدين كما هو مستوحًى من مفهومه يستبطن الالتزام والتعهّد وهذا الأمر من ذاتياته، ولا يدين الإنسان بفكرة أو طريقة إذا لم يكن متعلّقًا وملتزمًا بها. وطبعًا ليس هذا الحديث ـ عن التأثير السلبي للفضاء الافتراضي على الهوية وتضعيفها، خاصّةً الهوية الدينية والعقدية منها ـ هو كلّ الكلام، بل يحتاج إلى دراسات أكثر وأدلّة أقوى.

ويرى العديد من النقّاد أنّ نهج بورغمان هنا متأثّر بمنهج هايديغر الجوهراني (substantivist) والأحادية (monolithic) التي ترى أنّ التكنولوجيا لها ذاتٌ أو طبيعة مكوّنة من جزء واحد، وتتصرّف كعامل منفرد وقسري في الشؤون الإنسانية، وهذا المنهج الذي يطلق الجبر التكنولوجي، يقدّم التكنولوجيا بوصفها عاملًا مستقلًّا للتغيير الثقافي والاجتماعي، وهو الذي يشكّل ويحدّد المؤسّسات البشريّة والأعمال والقيم على نطاقٍ واسعٍ وخارج سيطرتنا.

ويدّعي النقّاد أنّ بورغمان لا يميّز بين طبيعة الشبكات الاجتماعية والسياقات والأنماط والدوافع التي تستخدم فيها هذه الشبكات، ويوظّفها مستخدموها في إطارها، كما يُعترض على بورغمان إهماله لحقيقة أنّ واقع الإنسان الجسدي لا يتدخّل دائمًا في تسهيل التواصل والعمل الاجتماعيين، وفي جميع الظروف وتجاه الجميع، على سبيل المثال يجادل أندرو فاينبرغ (Andrew Feenberg) بأنّ بورغمان يهمل الطريقة التي يمكن بها للشبكات الاجتماعية أن تسهّل المقاومة الديموقراطية لأولئك الذين تمّ تمكينهم ماديًّا وسياسيًّا من قبل العديد من شبكات العالم الحقيقي. [Ibid]

هذا ولكن تحليل بورغمان الذي على أساسه أنّ النشاط والفعّالية في شبكات التواصل يسبّب حالة الانزواء للإنسان ويضعّف شجاعته وإقدامه بأن يقوم بدوره الواقعي في الحياة الاجتماعية، فهذا ادّعاء غير مقنع ويحتاج إلى أدلّة أقوى. نعم، إنّ الإفراط في استخدام شبكات التواصل بشكل يمنع الإنسان من الحضور في المجتمع والقيام بالدور الاجتماعي يسبّب في تضعيف الهوية الاجتماعية للإنسان، ولكنّ هذا ينتجه عدم الحضور في المجتمع، وليس للحضور في شبكات التواصل خصوصية أو دور خاصّ.

المبحث الرابع: تحليل الهوية السيبرانية على ضوء الحكمة الإسلامية

إن الدقّة الفلسفية تقتضي أن تُرجع الهوية بكلّ أنواعها إلى الوجود؛ فالوجود هو أصل كلّ الصفات المهمّة منها أو غير المهمّة، فليست العناوين التي تطلق على الشيء خارجة عن عناوينه الذاتية أو العرضية التي ترجع إلى الوجود، كما أنّ العناوين المائزة لشخص عن الآخر وتعيّن هويّته السجلّية، تشير إلى وجود متشخّص بنفس ذلك الوجود، كما أنّ الهوية الجمعية والفردية ترجعان إلى شيء واحد وهو الوجود؛ لأنّ الوجود والوحدة متساوقان في الفلسفة والحكمة الإسلامية [حسن‌زاده، كشف المراد، ص 99]، فيمكن ملاحظة الوحدة لكلّ مجموعة، ونعدّ تلك المجموعة بكلّ أجزائها واحدةً، فنحصل على وجود جمعي، ومن ثمّ هوية جمعية.

بناءً عليه يمكن القول إنّ شبكات التواصل مكّنت من إنشاء وحدات وجودية وهويّات جمعية متكوّنة من أفراد لا يجمعهم مكان واحد، وذلك من خلال الانتماء إلى مبانٍ معرفية واحدة يشترك فيها كلّ أعضاء المجموعة. وإذا كانت الهوية الثقافية منشأً للسلوك والتصرّف لدى الإنسان، فلا شكّ أنّ المعرفة لها موقع مهمّ في الهوية الثقافية؛ لأنّ الإنسان فاعل بالقصد وينطلق في أفعاله الجوانحية والجوارحية من مبادئ معرفية، ومن هنا يتّضح الدور الحيوي لشبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل هوية الإنسان وبنائها من خلال تزوّده بالمبادئ والمباني المعرفية. وإذا أردنا أن نبيّن أهمّية العلم والمعرفة في هوية الإنسان في الحكمة الإسلامية، فليس هناك أفضل من الإشارة إلى نظرية اتّحاد العالم والمعلوم التي يقول بها بعض الحكماء المسلمين، وعلى أساس هذه النظرية ليست المعرفة عارضةً على الإنسان، بل تشكّل هوية الإنسان وذاته.

على الرغم من أنّ نظرية وحدة العالم والمعلوم هي قاعدة عامّة وكلّيّة تصدق على أيّ نوع من العلم والمعرفة، ولا تقتصر على المعرفة المستمدّة من الشبكات الاجتماعية السيبرانية والويب، ولكن ربّما يمكن الادّعاء بأنّ الشبكات الاجتماعية السيبرانية وفضاء الويب الثاني هي ساحة تتجسّد فيها فكرة وحدة العالم والمعلوم، فتواجد البشر في هذا الفضاء يكون عن طريق المعلومات والمعرفة التي ينشرونها، وبمعنى آخر إن الإنسان موجود في هذا الفضاء بوجود معلوماتي.

وبالطبع فإن تجلّي هذه الوحدة مع المعلوم لا يقتصر فقط على المستخدمين الذين

ينشرون محتوى، وينشطون إيجابيًّا على شبكات التواصل الاجتماعي، بل حتّى المستخدمون الذين يتلقّون هذه البيانات فقط، ويحصلون على المعلومات في هذا الفضاء، فإنّ وجودهم وحضورهم يتحقّق من خلال ما يقومون به من زيارة للصفحات على الويب، ومشاهدة المحتوى وقراءته في هذا الفضاء، وبتعبير آخر، يمكن عدّ عدد الزيارات لكلّ صفحة ـ والذي يحصى دون اختيار المستخدم ـ وكذلك عدد الإعجابات المسجّلة اختياريًّا من جانب المستخدم، عددًا للوجودات التي اتّحدت مع ذلك المحتوى؛ لأنّ زيارة 20 شخصًا مثلًا لمطلب معيّنٍ تعني قراءة ذلك المطلب 20 مرّةً، والذي يعني كذلك إيجاد 20 كائنًا علميًّا منه. كما يمكن البحث عن وحدة تشكّلها هذه الكائنات التي يشبه بعضها بعضًا معرفيًّا بأجمعها وبوجودها الجمعي.

ويبدو أنّ الاستناد إلى تفسير فكرة وحدة العالم والمعلوم والخلوص إلى أنّ المعرفة هي التي تشكّل الهويّة ليس منحصرًا في الحكمة الاسلامية، بل إنّ الشبكات الاجتماعيّة الإلكترونيّة تؤمن بهذه الفكرة أيضًا، لدرجة أنّها تستخدمها لتحديد الأشخاص وتقديم الإعلانات المستهدفة والمؤثّرة على كلّ مستخدم، كما أنّ فكرة "بامر" (Bummer) التي طرحها جارون لانيير (Jaron Lanier)، والتي بموجبها يمكن لأصحاب الشبكات الاجتماعية تشكيل المستخدمين كما يحلو لهم، من خلال التخطيط لجعلهم يستهلكون وسائط محدّدة، يمكن مقارنتها مع الرؤية التي تعتقد بمساواة هويّة الإنسان لمعرفته، ومن المحتمل أنّ العديد من الأشخاص عندما يضعون صورةً تشير إلى ما يعتقدون به أو يفكّرون فيه في صورة ملفّهم الشخصي، والتي يفترض أن تحكي عن هويّتهم، هو اعتراف فطريٌّ بأنّهم هم نفس ما يفكّرون فيه.

إلّا أنّ القضيّة المهمّة هي مدى توافق الهويّة الإلكترونية للمستخدم ـ وهي ما يتّحد مع البيانات والمعرفة التي تمّ اشتراكها أو استهلاكها من جانب المستخدم ـ مع هويّته الحقيقية التي تتّحد بدورها مع معرفته.

ولا شكّ في أنّ تلك المعرفة الموضوعيّة التي يتّحد الإنسان بها ليست معرفةً بسيطةً، بل هي معرفةٌ في سياق شبكة من المعارف الأخرى التي على الرغم من أنّها قد تنشأ من العالم الواقعي أو السيبراني، إلّا أنّها حاضرة في ذهنه أو حتّى في لاوعيه، ويمكن أن تقع هذه المعرفة متعلّقًا لمستويات وحالات مختلفة أخرى من الروح الإنسانية، مثل النيّة والعاطفة والإيمان والشكّ والريبة واليقين والإيمان وغيرها، ومع ذلك فهي تشكّل جزءًا واحدًا فقط من

المنظومة المعرفيّة البشريّة بأكملها على الشبكة الاجتماعيّة، على سبيل المثال الشخص الذي يبحث عن كلمة "الله" على الويب أو يتابعها على وسائل التواصل الاجتماعي قد يصدّقها أو لا يصدّقها، أو إذا كان يبحث عن دليل لإثبات وجود الإله، فإنّه يقوم بذلك لتقوية إيمانه أو تقوية إلحاده، كما أنّ البشر يتّبعون صفحاتٍ مختلفةً ويسجّلون إعجابهم بها تبعًا لأهدافهم ودوافعهم وخلفيّاتهم، ومن هنا، فإنّ خوارزميات الذكاء الاصطناعي في الشبكات الاجتماعية تسعى إلى محاكاة الهويّة الحقيقيّة للإنسان ومقاربتها من خلال تحليل شبكة المعرفة المتلقّاة من قبله في فضاء الويب، إلّا أنّ هذه المحاكاة غير قابلة للتحقيق بنسبة 100٪ إذا تعلّق الأمر بأفراد الإنسان، ومع ذلك، يبدو أنّه في حالة الإنسان الجمعي أو المجتمع، ونظرًا للتشابه بين الأسس المعرفية للبشر، يمكن للهويّة المستنبطة إحصائيًا أن تشير إلى حدّ كبيرٍ إلى الهويّة الموضوعية لتلك الحالة.

الخاتمة

1ـ أنّ من الإمكانيات المخيفة لشبكات التواصل هي الحصول على الهوية الرقمية للمستخدمين، والتي يمكن من خلالها هندسة هويتهم، فمن الجانب الإمكاني وحتّي الوقوعي يمكن لمالكي هذه الشبكات أن يستخدموا خوارزميات لهندسة أذهان المستخدمين وبناء شاكلتهم على أساس رؤًى غير دينية مثل الأنسنة، وإبعادهم عن الدين والتديّن.

2ـ من جانب آخر، إنّ كثرة المعلومات الموجودة في الفضاء الافتراضي وغلبة فضاء الهواية والتسلية فيها وإمكان اختيار المطالب والموادّ الإعلامية فيها على أساس هوايات المستخدم وما يعجبه، وإمكانية الانخراط في مجموعات قريبة في التفكير في هذا الصياغ، يسلب منه حالة التعمّق والتدقيق والحلم الذي يحتاج إليه لكي يحصل على هوية تأمّلية، فيتسبّب بالهويات السطحية المتصلّبة أو المتذبذبة، الأمر الذي يعارض الهوية الدينية المطلوبة. ولمعالجة الأمر نقترح اتّخاذ طرق مختلفة لترفيع مستوى الثقافة الإعلامية لدى كلّ شريحات المجتمع، وكذلك تربية الناشطين في هذا الفضاء ودعمهم، وتصميم شبكات لتغذيتهم الفكرية ورعايتهم. يجب على كلّ الجهات التي تهتمّ بسعادة الإنسان وسلامته الروحية على وجه الخصوص، وخصوصًا الحكومات التي يهمّها شعبها أن تهتمّ بحفظ الهوية الدينية لشعبها، وتعمل على تقويتها إلى جانب الهوية القومية؛ لدورها الذي لا بديل له في إعطاء هوية منسجمة وشمولية للإنسان.

3ـ يجب أن لا يكون أيّ فارق بين وسائل الإعلام من حيث معاملة القانون لها؛ لحفظ المجتمع وقيمه والحؤول دون هتك هذه القيم، فإذا كان هناك قوانين ومحاكم لمثل المطبوعات والقنوات، فالمفترض أن تكون قوانين محكمةً وصارمةً؛ حتّى لاينتهز بعضهم الفرصة لإهانة المقدسات أو تضعيف الهوية الدينية التي هي أهمّ رأس مال لأيّ شعب وأي بلد.

4ـ أنّ شبكات التواصل من خلال تمهيد الأرضية لاتّصال أفراد المجتمع بالشبكة العالمية، تجعل الإنسان يعيش أجواءً غير ثقافته التي يعيش فيها بجسمه، فإذا لم تنضج هويّته بصورة متينة وتأمّلية ولا تتأصّل جذورها في أعماق وجوده، يمكن أن يتعلّق بتلك الأجواء وأنماط الفكر والحياة فيها؛ الأمر الذي لا يستحسنه المجتمع من حوله، وهذا يسبّب أزمة الهوية، ولكن تقوية الهوية الدينية وبسط الثقافة الإعلامية وتعميق قواعد الهوية المحلّية والأسرية وترسيخها يمنع من وقوع الشباب في أزمة الهوية، خصوصًا إذا وفّقنا أن نشيّد هذه الهوية قبل خوضهم في هذا الفضاء، وقبل أن تسبقنا خصوصياتها.

5ـ أنّ شبكات التواصل في شكلها الحالي تذهب في طريق ترسيخ فكر ما بعد الحداثة في المجتمع، وهي الثقافة التي تدعو إلى قبول التعدّدية المعرفية وعدم بذل الجهد لهداية من تعتقد أنّه يذهب في الطريق الخطإ، وهذا ممّا لا يدعو إليه دين ولا يجسد مجتمعا له هوية دينية. إنّ الدين في الحقيقة يدعو إلى تشكيل الأمّة التي يؤمّها الإمام الحقّ، والناس فيها يهتمّون ببعضهم ويريدون السعادة الحقيقية لبعضهم، ويرون أنّهم جميعًا في سفينة واحدة وليس المجتمع. إنّ تصميم شبكات التواصل بصورة تسهم في تشكيل أمّة في الفضائين السيبراني والحقيقي وإدارتها بحيث تسير في هذا الاتّجاه يجب أن يكون ضمن برامج وغايات وورقة عمل بيد كلّ من يمكن له أن يقوم بدور في هذا المجال.

6ـ أنّ المجتمع له هوية تختلف عن هوية مجموعة أفراده؛ لأنّ أفراد المجتمع ليسوا أجزاءً محايدةً أمثال كراة صغيرة في كيس واحد، بل إنّ هناك علاقاتٍ خاصّةً بينهم تربط بعضهم ببعض، وإنّ شاكلة هذه العلاقات والروابط لها آثار خاصّة وتختلف الآثار هذه باختلاف نماذج هذه الشاكلات، ولا شكّ أنّ الدين يوصي بنموذج خاصّ للربط بين أفراد المجتمع، وهذا النموذج يشكّل وجودًا خاصًّا ومن ثمّ هوية خاصّة للمجتمع، ولا شكّ في أنّه كما أنّ لكلّ ماهية غايةً وكمالًا، فإنّ المجتمع يصل إلى كماله وغايته المنشودة إذا كان في صورته التكوينية الصحيحة والواقعية، والدين على ما قرّرنا في البحث يهدي إلى الهوية الحقيقية والواقعية للإنسان في صورتها الفردية والاجتماعية، فعلى هذا الأساس، إنّ الكمال الحقيقي والازدهار الواقعي للمجتمع يُحصل عليه على أساس النموذج الديني أو بالأحرى الهوية الدينية. من جانب آخر، إنّ شبكات التواصل التي تفرض أنماطًا خاصّةً ملهمةً من الفكر الليبرالي الغربي على المجتمع، تفرض نموذجها الخاصّ في العلاقات بين أفراد المجتمع، وهو يختلف عن النموذج الديني، ومن ثمّ تفرض هويةً خاصّةً غير دينية؛ لذلك من الضروري إعادة النظر في هندسة هذه الشبكات وإدارتها على أساس ما توصي به الثقافة الدينية.

قائمة المصادر

نهج البلاغة.

اکبری، بهمن، بحران هویت و هویت دینی، پیک نور، سال ششم، شماره‌ی 4، دانشگاه پیام نور، زمستان 1387 ش.

البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، دار الكتب الإسلامية، 1371 ش.

الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1407 هـ.

باستر، مارک، عصر دوم رسانه‌ها، ترجمه‌ی غلام‌حسین صالحیار، نشر ایران، 1378ش.

بهاروندی، ایوب، هویت‌سازی دینی و جهانی‌شدن، مجله‌ی مطالعات معنوی، شمارگان 21 و 22، بهار و تابستان 1395 ش.

جوانی، حجت الله، هویت دینی یا هویت‌های دینی، مجله‌ی اسلام‌پژوهی، شماره‌ی 1، زمستان 1384 ش.

حسن زاده آملي، حسن، كشف المراد للعلّامة الحلّي (مع التعليقات)، قم، نشر اسلامی، الطبعة السابعة، 1417 هـ.

رسول‌زاده اقدم، رسول و...، رسانه‌های اجتماعی، هویت و فرهنگ جوانان، تهران، نشر اساطیر پارسی چاپار، 1396 ش.

شایگان، داریوش، افسون‌زدگی جدید، هویت چهل تکه و تفکر سیار، تهران، نشر فرزان روز، چاپ دهم، 1396 ش.

شریفی، سیدمهدی و...، نظریه‌های رسانه؛ همراه با رویکردهای نوین، نشر ادیبان روز، چاپ یکم، 1398 ش.

شکرخواه، یونس، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، تهران، نشر دانشگاه تهران، 1390 ش.

عباسی، فاطمه، فضای مجازی در اندیشه‌ی اسلامی، نشر واژه‌پرداز اندیشه، چاپ یکم، 1400 ش.

فیروزآبادی، سیدابوالحسن، فضای مجازی، اجتماع و فرهنگ، شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، 1396 ش.

هاشـمي‌زاده، سـيدرضا و ...، عـصر مجـازی؛ تأمـلی بـر کارکردهـا و رویکردهـای جامعـه‌ی مجـازی، نـشر تیسـا، 1396 ش.

وارد، گلـن، پست‌مدرنیسـم، ترجمـه‌ی قـادر فخـر رنجـبری و ابـوذر کـرمی، نـشر مـاهی، تهـران.

گیدنـز، آنتـونی، تجـدد و تشـخص، جامعـه و هویـت شـخصی در عـصر جدیـد، ترجمـه‌ی نـاصر موفقیـان، نـشر نی، تهـران، 1383 ش.

Behrends, Christoph, How to Conceptualize a Postmodern Understanding of Identity in Relation to "Race", Grin Verlag, 2008.

Borgmann, Albert, Information and reality at the turn of the century, The Massachusetts Institute of Technology Design Issues: Volume 11, Number 2, summer 1995.

Carducci, Bernardo J., The Psychology of Personality: Viewpoints, Research, and Applications, John Wiley & Sons, (2009).

Crisp, Richard J, Turner, Rhiannon N, Essential Social Psychology, SAGE Publications, 2014.

Ermarth, Elizabeth Deeds, postmodernism, in Routledge Encyclopedia of Philosophy, Version 1.0, London and New York: Routledge, 1998.

Giddens, Anthony, The Consequences of Modernity, Polity Press, 2013.

Hartley, John, Burgess, Jean, Burns. Axel, A Companion to New Media Dynamics, John Wiley & Sons, 2015.

Kamberg, Mary-Lane, Digital Identity: Your Reputation Online, The Rosen Publishing Group, Inc, 2018.

Kumaravadivelu, B. Anonimo, Cultural Globalization and Language Education, Yale University Press; Illustrated edition, August 28, 2007.

Mandy, Ann, & others, Podiatry, A Psychological Approach, Wiley, 2009.

Patrick, Morag, Identity and the politics of recognition, in Noel O'Sullivan's "political theory in transition", Routledge, London, 2000.

Stratten, Scott, Kramer, Alison, UnMarketing: Stop Marketing, Start Engaging, John Wiley & Sons, 2012.

Vallor, Shannon, Social Networking and Ethics, 2016, from: https://plato.stanford.edu/entries/ethics-social-networking/

Volsche, Shelly, Voluntarily Childfree: Identity and Kinship in the United States, Lexington Books, 2019.

www.merriam-webster.com